مقالات
في

فقه التحرير

تعضيد: الحبيب أبي بكر العدني بن علي المشهور

تأليف: عون معين القدومي

دار المُعين للنشر والتوزيع
Dar Al Mueein Publishing and Distribution

بسم الله الرحمن الرحيم

تعضيد

الحمد لله، وبعدُ فقد عرض عليَّ السَّيد النَّجيب عون معين القدومي كتابه الحاوي على مقالاتٍ في علم فقه التَّحولات فتابعته ونظرت في مواضيعه، فسرَّني ما رأيتُ وما بذله من جهدٍ لتلخيص أهداف العلم وأهميته في مرحلتنا المعاصرة، وإنّي إذ أشكره على الجهد المبذول وأدعو له بالتوفيق أرفق برسالتي تعضيداً شعرياً لكتابه المتميز، ونسأل الله أن ينفع به من قرأه واطّلع عليه، وهذه هي الأبيات:

لعونٍ حيثما ولّى مكانة ... صدوقاً ما أرى فيه استكانة

أبى الإسفاف حتى صار رمزاً ... يشاطرني بصدقٍ في أمانة

وأبدى لي مع التَّمكين فهماً ... يجدد في الورى سرَّ الديانة

رعاه الله في دنيا وأخرى ... رعايةَ مخلصٍ أندى لسانه

لأجل الله لا يرجو امتداحاً ... وهذا المدح من شعري ضمانة

وقد أبدى كتاباً حاز معنى ... له شأن لمن أوعى بيانه

يؤيـد فـقـه أحـوال توالـت على الإنسـان في دنيـا المهانة
علامـات وأشـراط تسـامت وصـارت فـقـه ديـن لا إدانـة
فخذ مـا صاغه في سرِّ علم ومـا أبـداه مـن فهـمٍ وصانـه
ففـي فقـه التَّحـول خير حل نـهـائـي وقـد أبـدى كـيـانـه
وتعضيـدي إذا ما جاء قصداً فقصـدي أنـه أرخـى عـنـانـه
ولـي أمـل سـأفضيه قريبـاً ليبقـى حـامـلاً سـرَّ الـفطـانـة
ولي في أردنِ الخيرات باب وإخـوان لهـم منّـي حصانـة
سـألت الله يحفظهـم جميعاً ويحفـظ كل مـن أوفـى رهانه
وختـم النُّظـم بالمختـار طه شـفيع الخلـق في يـوم الإهانة
عـلـيـه اللـه صـلـى ثـم آل وأصحاب تسـاموا في المكانة

أبو بكر العدني ابن علي المشهور
٢٠ جمادى الأولى ١٤٤٠

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الخبير المحيط، والصَّلاة والسَّلام على الُمخبر الوسيط، ليتَّصل خبر السماء بمعاش الأرض وأمر العاقبة بالابتداء، ويتصلصل حال الواقع بالتَّوقع صلاةً وسلاماً نستدفع بهما أوهام الخُرافة والأُسطورة ونستنزل بهما نور الفهم حقيقةً وصورة، وعلى الآل والصَّحب والرَّاغبين في نشر الخير ونثر الفضل في أرجاء المعمورة وبعد؛

فإنَّ للدراسات الاستباقية والمستقبلية موقعاً متقدماً في عُرف العالم اليوم، من ذلك ما ينتج عبر مراكز الدِّراسات ومختبرات البحث عشرات السيناريوهات لاستكناه المسار والمسير، مع أنَّ المدرسة الإسلامية الأسبق في إطار النُّبوءة والبشارة وما تتابع من الدَّلائل النَّبوية للاعتبار بما في نصوص الوحي المصون من آفاق مستقبلية وعناوين تحوّل مفصلية عبر مراحل متتابعة في عمر زمن أمَّة النَّبي محمَّد ﷺ،

والأمَّة مرهونة في أزِّمَّةِ حاضرها وماضيها ومستقبلها بنبيها ﷺ ﴿ يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْ ﴾ [الإسراء: ٧١]، والإمامة النَّبوية متضمنة لكل ما يحفظ للأمّة مع تطاول الزمن قرارها واستقرارها، والمتابع للآيات القرآنية والأحاديث النَّبوية يجد حتى على مستوى الصراع الدَّاخلي في بواكير الأمّة وصدرها الأول قوله ﷺ: «تدور رحى الإسلام لخمسٍ وثلاثين، أو ستٍّ وثلاثين، أو سبعٍ وثلاثين، فإن يَهلكوا فسبيل من هلك، وإنْ يَقم لهم دينُهم، يَقم لهم سبعين عاماً»[1]، والتعبير هنا بـ(دوران الرحى) إشارةً وإثارةً للصراع الدَّاخلي في الأمَّة المحمَّدية، والرحى معلوم دورانها في مكانها وموقعها، وكأنَّ أوراق الشرِّ في داخل البيت المسلم قد تكشَّفت مع السبعين، أما الأعوام الـ (٣٥ – ٣٧) فهذه مراحل نبوَّة وخلافة على منهاجها وأولية الملك العضوض ولا تزال بيضة الإسلام محفوظة ولها حصانتها، أما بعد السبعين من الأعوام فانحراف الحُكم والقرار جعل الحصانة سارية جارية في الشعوب المسلمة؛ أي انتقل مستوى الحفظ للأمة والصيانة من بيت القرار وموقع الحكم إلى الواقع التعايشي الشعبي المسلم.

وقد سبقت الأسئلة في هذا السياق مع أيام النُّبوة الأولى يوم أن قال أمين سرِّ رسول الله في المنافقين حذيفة بن اليمان رضي الله

---

(١) «سنن أبي داود»، (٤٢٥٤)، و«مسند أحمد»، (٣٧٣٠).

عنه: «كان النَّاس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنتُ أسأله عن الشر، مخافة أن يدركني»[١]، وهذا يفتح أبواب للدَّراسات المستقبلية في الافتراضات المتنوعة والسيناريوهات المتعددة وأمثلة هذا كثير، ففي «مسند الإمام أحمد» يعطي النَّبي ﷺ أمثلة لاختيارات الأمَّة فيمن يَخلُفه «إنْ تؤمّروا أبا بكر تجدوه أميناً زاهداً في الدنيا راغباً في الآخرة، وإن تؤمّروا عمر تجدوه قوياً أميناً لا يخاف في الله لومة لائم، وإن تؤمّروا علياً ولا أراكم فاعلين تجدوه هادياً مهدياً يأخذ بكم الطريق المستقيم»[٢]، حتى أنّي وجدت الشيخ سعيد النورسي في كتابه «المعجزات الأحمدية» يبحث في حكمة التَّقديم والتَّأخير، بل وفي سياق ملاحظة أعمار الحضارات والحواضر نجد أكبر قوَّتين في عهد الرسالة وزمانها هما الفرس والروم يخبر عنهما ربّان الأمة وقائدها بقوله ﷺ: «فارسُ نطحةٌ أو نطحتان ثم لا فارسَ بعدها أبداً والرُّوم ذات القرون أصحاب بحرٍ وصخرٍ كلما ذهب قرنٌ خلَف قرنٌ مكانه، هيهات إلى آخر الدَّهر هُم أصحابكم ما كان في العيش خير»[٣]، وكأنَّ هذا النَّص النَّبوي يعطي مُدَّة الصلاحية للحضارة والحاضرة، وفي بعض الأخبار تعليل منهجي وتحليل مرجعي للأسباب

(١) «صحيح البخاري»، (٧٠٨٤)، و«صحيح مسلم»، (٥١) (١٨٤٧).
(٢) رقم (٨٥٩).
(٣) «مصنف ابن أبي شيبة»، (١٩٣٤٢).

الذَّاتية والموضوعية لهذه الأمداد والآماد من ذلك قوله ﷺ: «تقومُ السَّاعة والرُّوم أكثرُ الناس»[١]، فحصل التَّعليل والتَّحليل بين الراوي المستورد القرشي والسامع عمرو بن العاص، (إنَّ فيهم)، أي: الروم، لخصالاً أربع: إنهم لأحلم النَّاس عند فتنة، وأسرعهم إفاقة بعد مصيبة، وأوشكهم كرَّةً بعد فرَّةٍ، وخيرهم لمسكين ويتيم وضعيف، وخامسةٌ حسنةٌ جميلة: وأمنعهم من ظلم الملوك.

وما أوسع النُّصوص في هذا الباب المتَّصل بمتغيرات الواقع والوقائع عبر عقود وقرون، ولا أستعجل ولا أرتجل إنْ ادَّعيت أنَّ هذا الحقل المعرفي الدياني المتَّصل بالأُفق المستقلبي والاستباقي يمتلك جهـازاً مفاهيمياً متكاملاً، من ذلك الإضـافات الاقترانية لمظاهر مشكلات عالمية تُداهم واقعنا المعاصر اليوم، ففي الحديث عن النَّبي ﷺ أنَّه قال: «بادروا بالأعمال سبعاً هل تُنظرون إلّا إلى فَقرٍ مُنسٍ، أو غنًى مُطغٍ، أو مرضٍ مُفسدٍ، أو هرمٍ مُفنّدٍ، أو موتٍ مُجهزٍ، أو الدَّجال فشرُّ غائبٍ يُنتظر، أو السَّاعة فالسَّاعة أدهى وأمر»[٢]، وهنا يجد القارئ توصيفاً إضافياً ومعنى مركباً (الفقر المنسي، الغنى المطغي، المرض المفسد، الهرم المفنِّد، الموت المجهز) وأمثال هذا الكثير

(١) «صحيح مسلم»، (٣٥) (٢٨٩٨).

(٢) «سنن الترمذي»، (٢٣٠٦)، و«المستدرك على الصحيحين»، (٧٩٠٦).

من التوصيفات والتعبيرات والبيانات النبـوية للمتغيرات المتجدِّدة من زمان النُّبوة الختم إلى قيام الساعة، وهذا يشكل موضوع دراسة معمقة تفيدنا فيها اللغويات المعاصرة وفقه اللغة ودراسات الاجتماع والنَّفس والتربية والحقوق والسياسة؛ لنطور علماً وفقهاً مستجداً له حقله المعرفي وسياقه المنهجي وسقفه المرجعي وإطاره الدَّلالي.

وقد ظهر لي هذا جلياً قبل سنوات خمس حينما شاركت في حضرموت اليمن بورقة علمية بعنوان: «فقه التحولات في القرآن الكريم، سورة الكهف أنموذجاً»، وصادفت فصول المستقبل حاضرة في أنحاء السورة ماثلة في أرجاء الآيات فاستغفرت ربي عن القراءة الأولى الأقرب إلى العضين[١] منها إلى قراءة الوحي المتَّصل بالأذن الواعية[٢]، كنتُ أظن قصص الكهف ماضٍ غابر حتى اكتشفت أنها

(١) القراءة العضين: إشارة للآية القرآنية: ﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُواْ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ﴾ [الحجر: ٩١]، وهي فهم الكاتب بأنها القراءات المتجزأة للقرآن سواء في رتبة النزول أو رتبة التنزل أو رتبة التنزيل.

(٢) الأذن الواعية: وهي تمثل القراءة المكتملة والفهم الأنضج للكتاب الكريم على المستوى النقلي والمستوى الحقلي والمستوى العقلي، وهي دعوة النَّبي الكريم لأُذن علي رضي الله عنه لما قرأ الآيات ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ۝ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١١- ١٢]، قال النَّبي ﷺ: «اللهم اجعلها أذن علي». قال علي عليه السلام: فما سمعت بأذني شيئاً فنسيته. «مناقب علي»، لابن المغازلي، (٣١٢).

تحمل بذور مستقبل في أعطافها وأوطافها، وفي نفس السياق تأتي هذه المقالات المتنوعة عبر سنين التَّلقي والتَّكوين، إذ كان أول هذه المقالات في الكتاب في العام ٢٠٠٤م وهما: (المدرسة الأبوية والمدرسة الأنوية)، و(هلك المتنطعون)، لينشرا وقتها في صحيفة الغد اليومية الأردنية.

وتجددت الكتابة سنين متَّصلة لتجمع اليوم هذه الحصيلة في خمسة عشر عاماً، ويشدها خيط تواصلي وهو صلتي بهذا الفقه وهذا العلم الذي لم أزل أنقب فيه من أيام الطلب الأولى قراءة في أبواب الفتن والملاحم في دواوين السنة ومسانيدها وفي بعض الكتب المؤلفة في هذا الباب متقدمة ومتأخرة، وآخذاً عن بعض الشيوخ والمربّين أمثال سيدي الشيخ عمر صب لبن رحمه الله، ومذاكرة ومباحثة مع مهتمين وباحثين في مصادفات عجيبة ولقاءات غريبة لعلّي أوثقها مع بركة الوقت وصفاء الزمن.

وخلال السنين هذه متصلة كنت أُدمن القراءة وأجددها في مؤلفات سيدي الحبيب أبي بكر العدني ابن علي المشهور مع محاضرات ولقاءات في اليمن والحجاز لتتوج في لقاء فريد أجازني فيه بهذا العلم (علم الساعة)، وما هي إلا شهور حتى كنتُ محاوراً له في برنامج (المرصد النبوي)، ليكون تلخيص معالم هذا العلم في حلقات تلفزيونية مصورة وتكون إجازة مُتصلة بثوب تجديدٍ صادفت

واقعاً متجدداً مُلحاً بمزيد من النَّظر والاستقصـاء ليقول لي بعدها أستاذي ومعلمي: «ها نحن قد أوفينا معك علم السَّطر وجاء دور علم الصَّدر، تعال إلى عدن»، وبعدها بعامٍ في عدن كان فيض الصُّدور بعد مرحلة السُّطور، وبدأت تتسلسل الخواطر والكتابات، وتتزايد الأسئلة والاستفهامات، وأجدُ أستاذي صبوراً حنوناً تارةً يحبوني بنظمٍ وقصيدة، وأخرى برسالةٍ وتغريدة، وثالثة بمذاكرةٍ وملازمة مفيدة، لعلّي أجمع فيها سِفْراً يترجم شؤون هذا الاتّصال الرُّوحي وهذا الفيض السبُّوحي.

وتزامن هذا التَّلقي والاستمداد مع مذاكرات ومجالس مع أحبتي وإخوتي في معهد المعارج للدارسات الشرعية ومعهد الحوراء للتأهيل والبناء قراءة في عدة كتب منهـا: كتاب «النبذة الصغرى» و«دوائر الإعادة ومراتب الإفادة» و«التليد والطارف» و«الأسس والمنطلقات» و«سلامة الدارين» و«النَّمط الأوسط» لسيدي الحبيب أبو بكر المشهور، وكتاب الفتن من «التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول ﷺ» للشيخ منصور علي ناصف، وكتاب الفتن من «فتح الباري شرح صحيح البخاري» لابن حجر العسقلاني، و«المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج» للنووي، و«الأربعون العزيزية» للغماري، و«الأربعون حديثاً في فقه التحولات» للدكتور عمر باغوث، وفي تفسير سورة الكهف وسور الحواميم من القرآن الكريم.

وأبحاث متصلة مع نخبة من الحاضرين عن الربط بين الديانة والتاريخ في مراحل الأمَّة الموصوفة في السُّنن، وكذلك عن مواقع الأقاليم والبلدان في فقه التحولات، وكذلك عن تشبيهات الطيور والحيوانات في هذا العلم ورمزية ذلك، ومسائل متعددة متنوعة في معجم أماكن فقه التحولات وتحليل بعض المراحل والسياقات صدر منها ثلاثة كتب في المرحلة العيسوية.

وتأتي هذه المقالات تأريخاً لهذا التّلقي والتّكوين والتذاكر عبر شهور وسنين من الملاحظة والمتابعة كان وقت ظهورها جواباً لسؤال دفين في الخاطر أو معنى مُلح في سياق مُتَّصل عبر سفر أو حضر أو سياق عابر.

ومع تجدّد السؤالات من الأحباب الراغبين بدراسة هذا العلم والوقوف على معالمه ومداخله وجدتُ من المناسبة أن تَصدر هذه المقالات فتكون مادةً ناجزة لمتابعة التَّأصيل والتَّفصيل والتَّوصيل لهذا العلم الجليل والله الموفق والهادي لكل خير.

﴿وَلَمَّا دَخَلُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِى عَنْهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِى نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا﴾ [يوسف: ٦٨].

خواتيم صفر ١٤٤٠هـ/ ٢٠١٨م

وكتبه:

عون معين القدومي

من أين نبدأ قراءة فقه التَّحولات[١]؟

مفتاح القراءة «من قوله ﷺ: «بُعِثْتُ أنا والسَّاعة كهاتَيْن»، فقوله: «أَنا» بيان للذَّات الكاملة في منعته الرحمة العامة للعالمين والمسؤولية الخاصة عن آخر الأمم ظهوراً في هذا العالم، وقوله: «السَّاعة» إشعار بما يدور من علاماتها من نقض وقبض وتغيّر وتحوّل، فابتعاثه بالحق قائم من عصر بعثته إلى النفخ في الصور، والمرافقة المقروءة في قوله: «كهاتَيْن» رسم بياني يجب الـوقوف عنده بتمعن لمعرفة المراد من

(١) فقه التحولات: هو الفهم الشَّرعي لما يقضي الله ويدبّر في العالم الأزلي، لِما جرى ويجري من سُنن التَّغيرات والمتغيِّرات في الحياة الإنسانية والكونية، وما طرأَ ويطرأُ من مستجدّات العلم النظري والتطبيقي والثقافة والحوادث والفتن في مراحل الحياة الإنسانية عموماً ومراحل الأمة المحمّدية خصوصاً إلى قيام الساعة، وما تلاها من عالم الأبد والأمد والخلود، إما على صفة القراءة الاستباقية للحوادث والوقائع، وإما على صفة القراءة الاستقرائية لتاريخ الأمم والشعوب من مصادرها الأساسية، القرآن والسُّنة. «النبذة الصغرى»، للمفكر الإسلامي الحبيب أبو بكر العدني ابن علي المشهور، ص ١٨.

الموافقة الزمانية والمكانية وتحت هذا العلم سرٌّ خطير لا يباح به ولكن يشار إليه فقط»[١].

يَقولُ خيرُ الخلقِ في فقهِ الهدى بُعثْتُ والسَّاعة شيئاً واحِدا
يُشيرُ بالإصبَعِ رَسماً واضِحا رَأساً وعَرضاً فافْهمنَّ واشْرحا
فالرَّأسُ فيه ما بَقي من زَمنِ لهذه الدُّنيا ووَقْع الفتنِ
والأُفقي فيه تَحديدُ المكانْ حيثُ أتى جِبريلُ بالوحي المُصانْ
يكونُ فيه أخطرُ التحولِ مِنْ كُل أَمرٍ مُبرمٍ مُنزَّلِ
ويُخدعُ الأجيالُ مِنْ حيثُ أتى دينُ الإله فاعلمنَّ واصمُتا
فمنذُ عَصر المصطفى والخطرُ يَسيرُ في خطٍّ مُوازٍ يُذكرُ
خلالَ عَشْرٍ وثلاث سنواتْ خيرٌ وشرٌ سائرٌ في قنواتْ
فالخيرُ في مسيره مُطَّردُ والشرُّ في أتباعهِ مُنعقدُ
وكلُّهم يسعى لأمرٍ قد قُدِر لكنّ طه بالإله مُنتصرْ
فمبدأُ الأمر سلوكُ ذو نِفاقْ وما جرى من فتنةٍ أو من شقاقْ
وسورةٌ قد سُمّيت باسمهمْ وجاءَ في الآيات شرحُ مكرِهمْ

(١) «الدَّلائل النَّبوية المعبرة عن شرف المدرسة الأبوية»، الحبيب أبو بكر العدني، ص٣٥.

فهم رموزُ الإفك صُنّاع الحيلْ وهُم أولو الإرجاف في كلِّ محلْ

لم يَستحوا من طلعة المختارِ بل ساهموا في خدمةِ الكُفّار[١]

وعند تتبع روايات الحديث نجد في صحيح البخاري من حديث سهل وأنس وأبي هريرة: «بُعثْتُ أَنا والسَّاعة هكذا ويشير بإصبعيه فيمدُّ بهما»[٢] وفي رواية: «كهاتين»[٣] وفي رواية: «كهاتين هكذا»[٤] وفي رواية: «كهذه من هذه»[٥] وفي رواية: «قال بإصبعيهِ هكذا»[٦] وفي رواية: «وجمع بين إصبعيه وفرَّق بينهما شيئاً»[٧] بالوسطى والتي تلي الإبهام.

وفي الحديث: «وما مثلي ومثلُ السَّاعة إلا كفرسي رهان»[٨]،

---

(١) «التليد والطارف شرح منظومة فقه التحولات وسنة المواقف»، الحبيب أبو بكر العدني، ص٦٥، وما بعدها.

(٢) (٦٥٠٣).

(٣) «صحيح البخاري» (٦٥٠٤).

(٤) انظر: «فتح الباري في شرح صحيح البخاري»، لابن حجر في شرح حديث رقم (٦١٣٨) عن **سهل** قال: قال رسول الله ﷺ: بعثت أنا والسَّاعة هكذا ويشير بإصبعيه فيمد بهما.

(٥) «صحيح البخاري» (٥٣٠١).

(٦) «صحيح البخاري» (٤٥٨٠).

(٧) انظر: «فتح الباري شرح صحيح البخاري» في شرح حديث رقم (٦١٣٨) عن سهل قال: قال رسول الله ﷺ: بعثت أنا والسَّاعة هكذا ويشير بإصبعيه فيمد بهما.

(٨) «مسند أحمد» (٢٢٢١٦).

ومن حديث بريدة: «بُعِثْتُ أَنا والسَّاعة جميعاً، إنْ كادت لتسبقني»[١]، وفي سنن الترمذي: «بُعِثْتُ في نَفَس السَّاعة»[٢] وفي رواية: «في نَفْس السَّاعة»[٣] عند تنفسها كناية عن القرب، وفي رواية: «بعثت في نَسَمِ الساعة»[٤]، وفي حديث أبي داود تأخير هذه الأمة نصف يوم[٥]، وفي الروايات إشارة لقلة المدة بينه وبين السَّاعة والتفاوت، إما في المجاورة وإما في قدر ما بينهما (فضل إحدى الإصبعين على الأخرى)[٦].

وفسَّر بعضهم الآية: ﴿فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا﴾ [محمد: ١٨] أنَّ أول أشراطها بعثة النَّبي محمد ﷺ[٧].

---

(١) «مسند أحمد» (٢٢٣٤٤).

(٢) «سنن الترمذي» (٢١٤٣).

(٣) «مصنف ابن أبي شيبة» (٩٤٩).

(٤) «حلية الأولياء»، للأصبهاني، (٤: ١٦١)، وفي «الكنى والأسماء»، للدولابي، (١٤٩)، ولفظه: «بعثتُ في نسيم الساعة».

(٥) روى أبو داود في «سننه»، (٣٧٨٧)، عن **أبي ثعلبة الخشني**، قال: قال رسول الله ﷺ: «لن يعجز الله هذه الأمة من نصف يوم».

(٦) ذكر ابن حجر في «فتح الباري» في شرح حديث رقم (٦١٤٠) عن **أبي هريرة** عن النبي ﷺ قال: بعثت أنا والسَّاعة كهاتين يعني إصبعين، أن الإمام البيضاوي قال: معناه أن نسبة تقدم البعثة النبوية على قيام السَّاعة كنسبة فضل إحدى الأصبعين على الأخرى.

(٧) انظر: «تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي» في شرح حديث رقم (٢٢١٤) =

وقال ابن العربي: الوسطى تزيد على السبابة نصف سُبُعها فهذا الباقي من البعثة إلى قيام السَّاعة [١].

وفي الحديث: «ما أَجلُكُمْ في أجلِ مَنْ كان قبلكم إلّا مِن صلاة العصر إلى مغرب الشمس»[٢].

وفي رواية: «ما بقي لأمتي من الدنيا إلا كمقدار إذا صليت العصر»[٣].

ومن الحديث نستخلص:

١ـ الإشارة إلى الذات النبوية بقوله: (أَنا).

٢ـ الإشارة إلى التحولات بالسَّاعة بقوله: (والسَّاعة).

٣ـ والإشارة بالأصبع والأصبعين مدلول هام إلى بيان الملاصقة

= عن **أنس** قال: قال رسول الله ﷺ بعثت أنا والسَّاعة كهاتين وأشار أبو داود بالسبابة والوسطى فما فضل إحداهما على الأخرى قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح، وعزا الشارح ذلك إلى الضحاك.

(١) انظر: «فتح الباري شرح صحيح البخاري»، باب قول النبي ﷺ بعثت أنا والسَّاعة كهاتين، (١١: ٣٥٠).

(٢) انظر: «فتح الباري شرح صحيح البخاري»، باب قول النبي ﷺ بعثت أنا والسَّاعة كهاتين، (١١: ٣٥٠).

(٣) المصدر السابق.

والمعاصرة بالأحداث زماناً ومكاناً.

وينتج عن هذا شكلين:

الأول: الشكل الرأسي:

١ـ رسم بياني لما بقي من عمر الدنيا الذي لا يتجاوز الأنملة الوسطى أمام السبابة.

٢ـ رأس الأصبع أعلاه؛ فالفتن في علو مع نهاية الزمان.

الثاني: الشكل الأفقي:

١ـ المجاورة في المكان.

٢ـ الملاحقة في الزمان.

ولذلك كانت بعثة النبي عليه الصلاة والسلام من علامات السَّاعة، «قال القرطبي: أولها بعثة النبي ﷺ لأنه نبي آخر الزمان وقد بعث وليس بينه وبين القيامة نبي يوحى إليه بشرع»[١]، وقال البغوي في تفسيره: «وكان النبي ﷺ من أشراط السَّاعة»[٢]، وفي السنن الواردة في الفتن لأبي عمرو الداني عن أبي عمران الجوني قال: قال رسول الله ﷺ

---

(١) «التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة»، (١: ١٢١٩).

(٢) «تفسير البغوي»، (٣: ٧١).

«حين بعث إلي بعث إلى صاحب الصور فأهوى به إلى فيه وقدم رجلاً وأخر رجلاً ينتظر حتى يُؤمر فينفخ ألا فاتقوا النفخة»[١][٢].

تعقيب سيدي الحبيب أبو بكر المشهور على المقال[٣]:

من أين نبدأ قراءة فقه التحولات؟

يُقرأ فقه التحولات من حيث تبدأ وظائفه المقررة في أصوله وقواعده، حيث أنَّ البعض يغلب عليه ما تعوّده من قواعد فقه الأصول ووظائفه، فيوظَّف فقه التحولات فيما وظَّفه الجدليون من علم الثوابت، وينصرف الاهتمام من معالجة الأشراط والعلامات والفتن المضلة إلى المماحكة والمجادلة حول الزَّمن والشخوص وتحديد مسألة الأعمار للحياة وما اختلفت النُّصوص ثم المفهوم حول ذلك.

ولعل العبارة المشار إليها في الدَّلائل النَّبوية من قول الكاتب

---

(١) «السنن الواردة في الفتن»، أبو عمرو الداني، بتحقيق: المباركفوري (٣٧٧) (٧١٨).

(٢) «الأسس والمنطلقات في تحليل غوامض فقه التحولات»، للحبيب أبي بكر العدني المشهور، ص١٦٥.

(٣) كنتُ قد انتهيتُ من تدوين هذا المدخل المفتاحي للقراءة في علم الساعة وفقه التحولات في شوال ١٤٣٤ هـ، وأرسلت المقالة لأستاذي موشحة بـ (أسئلة سبعة) في صفر ١٤٣٥ هـ، وتشرفتُ بهذا التعليق والتعقيب والإجابة على الأسئلة السبعة كمدخل للقراءة في هذا العلم.

(وتحت هذا العلم سر خطير لا يباح به ولكن يشار إليه فقط) تصرف الباحث المتمعّن عن مسألة الحساب الزمني لوقوع الساعة وما بقي من عمر الدنيا، والـوقوف عند هذا الموضوع إلى ما قاله في «التليد والطارف»[١]:

فالرأس فيه مـا بقي من زمن لهـذه الدنيـا ووقـع الفتـن

أشارة إلى مدلول المسافة القريبة بين الأصبعين على صفة البيان الرأسي وما يترتب على هذا القرب من فتن يكون فيها ما قاله في الأبيات:

يكون فيها أخطر التّحول مـن كل أمـر مبـرم منـزل

ففقه التحولات عمق النظر في كل ما أشير إليه بإيجاز.

يخدع الأجيال من حيث أتى ديـن الإلـه فاعلمـنّ واصمتا

وهذا أحد نماذج الدراسة الواعية.

فمنذ عهد المصطفى والخطر يسـير فـي خـط مـواز يذكـر

وهذا نموذج آخر لوظيفة هذا الفقه، فهو إعادة واعية لقراءة التاريخ الزمني السابق مربوطاً بفقه الديانة، وخاصة فقه الركن الرابع فيما يعرف بالقراءة الاستقرائية.

---

(١) ص ٦٥ وما بعدها.

أما متابعة التاريخ الزمني اللاحق فمحصور في القراءة الاستباقية للفتن ومضلاتها، وكيفية النجاة منها.

كما يترتب على هذه الدراسة الشرعية فصل بين الخير وأهله والشر وأهله، وما تسلسل عبر الأزمنة من هذين الأمرين المتوازنيين وأثرهما على حياة الأمة.

وما نقله القدومي من تفسير بعضهم الآية: ﴿فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا﴾ [محمد: ١٨] بأنَّ أول أشراطها بعثة محمد صلى الله عليه وآله وسلم، إشارة واضحة لموضوع الأشراط والفتن والحماية منها، وصرف عن مسألة العد الزمني والاختلاف عليه، ومن اشتغل بذلك سيرجع إليه الفقهاء والشُّراح من عشرات الأقاويل الاستنباطية طول عمر الدنيا.

وبالنسبة لما استخلصه القدومي من الثلاث النقاط:

١ـ الإشارة إلى الذّات النبوية بقوله (أنا).

٢ـ الإشارة إلى التحولات بالساعة بقوله (والساعة).

٣ـ والإشارة بالأصبع، والأصبعين مدلـول إلى بيان الملاصقة والمعاصرة بالأحداث.

كلها تدور في دائرة التعظيم للذات المسئولة وما تحمله من حلول كمواقف ودلالات ومعالجات.

والثانية تدور في دائرة التّعظيم للحدث الأخير وهي الساعة.

والثالثة تدور في دائرة وجوب الملاحقة والاستدراك لما بقي من مسافة التأريخ الزمني لتطبيق مفهوم: «**بعثت أنا والساعة**»[1] بشارة ونذارة، وحكم وعلم، وثوابت ومتغيرات.

والإجابة على الأسئلة كالتالي:

١ـ السؤال الأول: هل يدخل في الإشارة إلى الذّات النبوية في الحديث بقوله: (أنا) أهل الوراثة المحمّدية في كل عصر؟ وإن كان أهل الوراثة المحمّدية من أصحاب رتبة الإمامة يدخلون في المشار إليه فما الموروث لهم من تلك الذّات بهذا الخصوص؟

الجواب: أهل الوارثة المحمّدية يدخلون بالتبعية في مفهوم النورانية المقصودة منه صلى الله عليه وآله وسلم في قوله: (أنا)، أما حقيقة الأمر فيعود المقصود منها إلى: (الكتاب والسنة النبوية)، وأول من يحمل مسؤولياتها أهل الوراثة النورانية، إما أهل الإمامة كمرتبة، أو أهل المحبة والانطواء كأتباع.

٢ـ السؤال الثاني: ما الحد الجامع في تعريف (الساعة) بناء على ورودها في الروايات السابق ذكرها؟

---

(١) سبق تخريجه.

الجواب: كل حدث موعـود به على مدى الزمن المقرر شرعاً يطلق عليه مفهوم الساعة، فالساعة لمن مات كما ورد قامت قيامته، وكل الأشراط والأمارات والفتن عند دراستها مرتبطة بمفهوم الساعة ـ أي ساعة وقوعها ـ تظل رمزاً زمنياً مجهولاً حتى تقع، ولا تعرف إلا بالعلامات، وليس في العلامات دليل قطعي فقد تتشابه العلامات فيظل مفهوم (الساعة) على هذا المعنى من علم الله: ﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ [فصلت: ٤٧] ساعة وقوع الحدث المقدر، وأكملها وأجملها نهاية الكون.

أما ما قبل هذا ـ أي قبل وقوع الحديث ذاته ـ فهناك علامات وأشراط وأمارات وفتن وملاحم، وظيفتها تنبيه العقل المسلم للبلاغ والحياطة والاستعداد.

٣ـ السؤال الثالث: هل يجوز لنا بناء على الأشكال الواردة من الأصبع والأصبعين بالمرافقة والموافقة حساب عمر أمّة الإسلام على ضوء الأحاديث الوارة والإشارة التي فيها؟ وما ضوابط هذا الحساب؟ وما محاويره؟ وما رأي سيدي فيما صُنّف في هذا الباب حتى الآن؟

الجواب: وجهة نظرنا في الإجابة عن هذا السؤال أنه صرف عن وظيفة العلم بالعلامة إلى ما لا يخص الإنسان تقديره، وهو أمر فلسفي محيّر وشاغل وصارف عن وظائف مهمات الدعوة إلى الله، ويعني صيانة الثوابت.

وربما كان من صفة ما قال أنّ فيه ﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٢٢]، وقصة أهل الكهف علاقتها بعلم الساعة معلوم، أما الاختلاف العددي فبيّن في الآية.

٤ـ السؤال الرابع: قلتم سيدي (كهاتين) رسم بياني يجب الوقوف عنده بتمعن لمعرفة المراد من الموافقة الزمانية والمكانية في كتابكم «الدلائل النبوية» ص **٣٥**، وفي شرح «التليد والطارف» بكتابكم أشير إليها بالمجاورة في المكان والملاحقة في الزمان، ما المقصود بالمجاورة في المكان؟ وما علاقة مخرج الساعة بموطن البعثة؟ وكيف نفهم الملاحقة في الزمان مع طول المدة نسبياً بين البعثة ومرور **١٤٣٥** عام على الهجرة بعدها بـ **١٣** سنة إلى يومنا ولم تقم الساعة؟! وهل أحاديث (النَفس) و(النَسَم) (وإن كادت لتسبقني)[١] مجازية أم حقيقية؟ وإن كان حقيقية فما المعنى الذي نفهمه؟

الجواب: من علم الصدور وليس من علم السطور إلا فيما قد ظهر.

السؤال الخامس: في المنظومة ورد النظم:

فمنذُ عَصر المصطفى والخطرُ يَسيرُ في خطٍّ مُوازٍ يُذكرُ

هل من خارطة طريق ذات معالم تستبين لنا به الرؤية ويصح به الفهم لمراغمة الخير والشر؟

---

(١) سبق تخريج الأحاديث.

الجواب: من علم الصدور وليس من علم السطور إلا فيما قد ظهر.

٥ـ السؤال السادس: ما علاقة أوائل السّور من الحروف المقطعة بعلم الساعة؟ ولِمَ تبسَّم النَّبي ﷺ من حساب اليهود لها بطريقة أبي جاد (طريقة الحرف وعدده) وأخذ يورد عدد من السّور التي افتتحت بها؟

الجواب: مفتاح علم صاحب الوقت المرتقب، وكتم النّبي ﷺ لمعرفته بحساسية الموضوع، ثم انطلق بما يناسب الزمن والفهم المحيط به لدى من يحدّثه.

٦ـ السؤال السابع: ماعلاقة سورة التوبة (براءة) بعلم الساعة وقراءة فقه التحولات على وجه الخصوص باشارتكم في المنظومة:

وسورةٌ قد سُمّيت باسمهمْ وجاءَ في الآيات شرحُ مكرِهمْ؟

الجواب: سورة التـوبة تسمى الفاضحة، ولا زالت تحتاج إلى دراسة شاملة لكونها جامعة لسرِّ (التحالف) بين المشركين والمنافقين على مدى التاريخ الإنساني منذ عهد البعثة حتى عهد النفخة.

وأما السورة التي سميت باسمهم فهي (سورة المنافقون)، وهي خاصة بمدرسة النفاق التاريخية ومنهجيتها المنحرفة في السلوك الإسلامي.

أرجوا أن تكون هذه الإجابات مفتاحاً لباب يلج بكم إلى أفضل المباني والمعاني الوظيفية لفقه التحولات.

صفر ١٤٣٥هـ ودمتم

السيد أبو بكر العدني ابن علي المشهور

* * *

المبادئ العشرة لعلم السَّاعة

لكل علمٍ كيان معرفي مستقل تتشابك فيه موضوعاته لتشكل نمطاً هيكلياً يمكن من خلاله استجلاء المصادر الأصلية التي تتكون منها قضايا هذا العلم ومحتوياته واستيفاء النتائج التي يحصلها الدارس والقارئ لهذا العلم، ويمكن أن تصطبغ بها هويته الذاتية بحسب ما تترسخ به ملكاته العقلية وآلاته الذهنية وكيفياته النفسية مع مدة التحمّل وعدة التأهل؛ لتتنوع وتتوزع من بعدها وجوه الأداء وصيغ الإفضاء.

وقد جمع العلماء معيارية العلوم في أبيات يستجلي كل طالب وراغب من خلالها معالم هذا العلم وبنيته الداخلية وصيغته التكوينية وملامحه المنهجية.

إن مبادي كل علم عشرة ... الحد والموضوع ثم الثمرة
ونسبةٌ وفضله والواضع ... والاسم الاستمداد حكم الشارع
مسائل والبعض بالبعض اكتفى ... ومن درى الجميع حاز الشرفا[1]

(١) الأبيات لأبي العرفان محمد بن علي الصَّبان صاحب الحاشية على شرح الأشموني لألفية ابن مالك.

اسمه: فقه الـسَّاعة[١]، فقه الأمارات، أعلام الـساعة، أشراط السَّاعة، فقه التحولات[٢]، علم القضية[٣]، علم آخر الزمان[٤]، الكائنات المستقبلية[٥]، علم الفتن.

حده (تعريفه): تعدد التعريفات فيها منها:

أشراط السَّاعة: والشرط ـ بفتحتين ـ: هو العلامة، جمعه: أشراط، وأشراط الشيء: أوائله[٦].

وأشراط الساعة: علاماتها[٧]، في الآية قال الله تعالى: ﴿**فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا**﴾ [محمد: ١٨].

الساعة: الـوقت الذي تقوم فيه القيامة، وسمّيت بذلك لسرعة

---

(١) اصطلح هذا الاسم محمد إسماعيل المقدم في كتابه: «فقه أشراط الساعة».

(٢) جاءت هذه التسمية من عدة أبحاث وكتب للمفكر الإسلامي الحبيب أبو بكر العدني ابن علي المشهور منها كتاب: «النبذة الصغرى» و«التليد والطارف» و«الأسس والمنطلقات» وغيرها.

(٣) ذكرها جعفر الجوهري في كتابه: «النذير».

(٤) وهذه التسمية مذكورة عند الشيخ عمران حسين في مجالات تخصصه وبحثه.

(٥) ذكر هذه التسمية د. حسن حنفي في كتابه: «علوم السيرة من الرسول إلى الرسالة»، ص٤٩٣.

(٦) انظر: «لسان العرب»، (٧/ ٣٢٩).

(٧) «مختار الصحاح»، ص٣٢٤.

الحساب فيها، أو لأنها تفجأ الناس في ساعة، فيموت الخلق كلهم بصيحةٍ واحدة[١].

وقال الراغب في «المفردات»[٢]: الساعة جزء من أجزاء الزمان، ويعبّر به عن القيامة، قال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ﴾ [الأعراف: ١٨٧]، وقال سبحانه: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ﴾ [القمر: ١].

ومن تعريفاتها: العلم بما كان وما هو كائن إلى أن تقوم السَّاعة[٣].

موضوعه: السؤال الرابع في حديث جبريل عليه السلام المعروف بـ(أمّ السنة)، وكذلك التحوّلات التّاريخيّة في النصوص الشرعية.

ثمرته وفائدته:

١ـ تجديد القراءة باسم الله في الواقع والمتوقع.

٢ـ تجديد لغة الدعوة إلى الله بما يناسب لغة العصر.

٣ـ زيادة الإيمان في آخر الزمان، والحفاظ على نسبة من الصلاح والتقوى في أزمنة الفتن، وتخفيف حدة التوتر، وتثبيت منهج السلامة.

---

(١) انظر: «لسان العرب»، (٨/ ١٦٩).

(٢) ص٤٣٤.

(٣) عن حذيفة بن اليمان، أنه قال: «أخبرني رسول الله ﷺ بما هو كائن إلى أن تقوم الساعة..»، «صحيح مسلم»، (٢٤)(٢٨٩١).

٤ـ معرفة دلائل النبوة فيما أخبر بوقوعه ﷺ.

استمداده: من الآيات القرآنية والسنن والآثار.

نسبته (مرتبته من العلوم الأخرى): صيانة لثوابث وأركان الدين الثلاثة: الإسلام، الإيمان، الإحسان، والحفاظ عليها من نقض العرى، أي بمثابة الوعاء لعلوم الديانة.

واضعه (أي أول من فصّل مسائله): الاهتمام والتأليف في هذا الموضوع على وجه الاستقلال بدأ في وقت مبكر مع بداية حركة التأليف، إلى جانب تناول كبار المحدثين للموضوع كالإمام البخاري ومسلم وإيرادهم للأحايث الواردة فيه تحت كتب وأبواب خاصة به عنونها في كتبهم، وتوالت بعدها تصانيف العلماء إلى العصور المتأخرة، ومن أبرز المؤلفات في ذلك: كتاب «الفتن» لنعيم بن حماد، وبنحوه لإسماعيل العطار وعبد الله بن أبي شيبة، وللتويجري والبرزنجي في أشراط الساعة، وفي عصرنا تناول المفكر الإسلامي الحبيب أبو بكر العدني ابن علي المشهور علم أشراط الساعة بطرح مختلف أسهم في تفصيل وتأصيل كل مسألة من مسائل هذا العلم بقراءة نبوية منهجية علمية استدلالية فكرية ومعاصرة بأطروحات عديدة منها: «النبذة الصغرى»، و«التليد والطارف»، و«الأسس والمنطلقات»، وغيرها الكثير.

فضله: به يعرف النقـض الذي يحصل لعرى الإسلام والإيمان والإحسان.

حكم الشّارع فيه: فرض كفاية في آخر الزمان.

مسائله: كثيرة، مثل: تشخيص الواقع والأحداث ووضع المخارج المناسبة لها بهدف إيقاف التحريش بين المصلين، وسنّـتي المواقف والدلالة، وفقه المراحل ومفاصل التَّحول، البشارات والنذارات، الفتن ومضلات الفتن، فقه المبادرة، علم الربط بين الديانة والتاريخ، وغيرها.

* * *

ضوابط التَّعامل مع علم السَّاعة[١]

١ـ علم السَّاعة من أساسيّات علوم الدِّين، وجزء لا يتجزأ من الدِّين.

٢ـ علم السَّاعة ويطلق عليه (فقه التحولات) ينظر فيه بنور الثوابت الثلاثة: (الإسلام، الإيمان، الإحسان).

٣ـ علم السَّاعة علمٌ قائمٌ بذاته، تتحقق فيه مبادئ العلوم العشرة.

٤ـ مدلولات نصوص علم السَّاعة واسعة سعة اطلاع النَّبي عليه

---

(١) هذه الضوابط نواة لصياغة أصول فقه التَّحولات، ونعني هنا بأصول فقه التحولات الإطار المرجعي والمنهجي لهذا العلم بما ينتج ملكة في اشتقاق مسائل هذا العلم وتنزيله في الوقائع القابلة، ولا زلت أبحث من سنوات عن (قانون التأويل القرآني)؛ وهو القانون الذي نتمكن من خلاله استخراج منهجية منضبطة في أفق التنزيل للآية القرآنية في الوقائع الوجودية، وأصل ذلك ما ورد عن الصحب الأكرمين عرفنا تفسير ﴿سَيُهۡزَمُ ٱلۡجَمۡعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾ [القمر: ٤٥] في مكة وما عرفنا تأويلها إلَّا يوم بدر. انظر: «تفسير الطبري»، (٢٢: ٦٠٢)، و«تفسير ابن كثير»، (٧: ٤٤٦).

الـصلاة والسلام على علم ما كان وما سيكون، فلا تُـقـيّد نصوص علم السَّاعة بمدلولات معينة، إنما كانت باصطلاحات قريبة من حياة الصحابة، ولا يتعسف في تفسيرها بل كثيرٌ منها يتضح مع تقدم الزمن[١].

٥ـ أُلغزت نصوص علم السَّاعة كثيراً من الأحداث والأشخاص؛ ليحصل الأمان لهذه الأمائن[٢] من أن تتلاعب بها وتستشرف للمستقبليات أيادي المدرسة الأنوية الشيطانية الدجالية الظلمانية، بل تكون إشارات يدركها أهلها[٣].

---

(١) وقد أشار إلى ذلك أيضاً الإمام الغماري في كتاب: «الأربعون العزيزية» في مقدمة الكتاب حيث قال: «.. وهناك أحاديث لم يظهر بعد ما تدل عليه وتشير إليه وهو واقع لا محالة كما وقع، وتحقق ما جاء الخبر به في الأحاديث الأخرى فلا ينبغي تكلف شرحها وحمل ألفاظها على المعاني البعيدة عنها التي يبدو عليها التكلف، وعدم المطابقة للمعنى كما سبق من العلماء الذين تناولوا هذه الأحاديث بالشرح، بل يجب ترك شرحها للمستقبل فهو الكفيل بذلك، وما سوى ذلك فتكلف لا معنى له»، ص ١٨.

(٢) الأمائن: مفرد أمانة، وهي الفرائض والطاعات، تنزل في جَذْر قلوب الرجال، كما تُرفع وتقبض منه، وتضيع بتوسيد الأمر لغير أهله.

(٣) كحديث النَّبي ﷺ «اعدد ستاً بين يدي الساعة: موتي، ثم فتح بيت المقدس، ثم موتان يأخذ فيكم كقعاص الغنم، ثم استفاضة المال حتى يعطى الرجل مائة دينار فيظل ساخطاً، ثم فتنة لا يبقى بيت من العرب إلا دخلته، ثم هدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر، فيغدرون فيأتونكم تحت ثمانين غاية، تحت كل غاية اثنا عشر ألفاً»، «صحيح البخاري»، (٣١٧٦).

٦ـ نصوص علم السَّاعة يكفي فيها ثبوت الحديث عن النبي عليه الصلاة والسلام، سواء كان ضعيفاً أو حسناً[١]، وعدم الثبوت هو كون الحديث موضوعاً أو من كلام أهل الكتاب أو الإسرائيليات كروايات كعب ووَهب، إلا أن الوقائع قد تصحح معنى الأحاديث شديدة الضعف والنكارة، وليس هذا هو مقصوده أن الواقع هو المعيار في تصحيح أحاديث علم السَّاعة أبداً.

٧ـ لا بدَّ من التفريق بين الآثار والسنن، فالسننُ هي (النصوص النبوية)، والآثارُ هي ما ورد عن الصحابة وآل البيت (النصوص الأبوية)، وتُعامَلُ آثار السلف بمنزلة الشارح والمبين لمعاني النصوص النبوية[٢].

---

(١) «..وقد حكم الحفاظ على كثير من أحاديث الضعفاء بالثبوت لمطابقتها للواقع، وهذا معلوم عندهم مقرر في كتبهم بل إنهم يعتمدون على التجربة في ثبوت الخبر، وجواز العمل به». انظر: «الأربعون العزيزية»، للإمام الغماري، ص ٣٣.

(٢) فمن الأمثلة على (النَّص النبوي) ما جاء في الحديث عن النَّبي ﷺ أنَّه قال: «إنّا أهل بيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا، وإن أهل بيتي سيلقون بعدي بلاء وتشريداً وتطريداً، حتى يأتي قوم من قبل المشرق معهم رايات سود، فيسألون الخير فلا يعطونه، فيقاتلون فينصرون، فيعطون ما سألوا، فلا يقبلونه حتى يدفعوها إلى رجل من أهل بيتي فيملؤها قسطاً، كما ملؤوها جوراً، فمن أدرك ذلك منكم، فليأتهم ولو حبوا على الثلج». «سنن ابن ماجه»، (٤٠٨٢).

ومن الأمثلة على (النَّص الأبوي) الشارحة للنصوص النبوية، عن علي بن أبي طالب، رضي الله عنه قال: «إذا رأيتم الرايات السود فالزموا الأرض فلا تحركوا أيديكم،=

٨ـ انطلاقنا في فهم علم السَّاعة هي النصوص لا غير، فلا يُـحْتَجُّ بفهم وبتحليل ما سوى النصوص؛ لأن النصوص إنما صدرت عمن أطلعه الله على علم ما كان وما سيكون ﷺ(١).

٩ـ لا نُسْقِطُ أبداً نصوص النبوة على شخصٍ بعينه أو حدثٍ بعينه، لكن لا إشكال من تحقيب المراحل والاستبصار بنور الوحي والنصوص فيما يجري من تحولات.

❊ ❊ ❊

= ولا أرجلكم، ثم يظهر قوم ضعفاء لا يؤبه لهم، قلوبهم كزبر الحديد، هم أصحاب الدولة، لا يفون بعهد ولا ميثاق، يدعون إلى الحق وليسوا من أهله، أسماؤهم الكنى، ونسبتهم القرى، وشعورهم مرخاة كشعور النساء، حتى يختلفوا فيما بينهم، ثم يؤتي الله الحق من يشاء». «الفتن»، لنعيم بن حماد، (٥٧٣).

(١) جاء في «سنن أبي داود»، (٤٢٤٠): عن حذيفة بن اليمان، قال: «قام فينا رسول الله ﷺ قائماً، فما ترك شيئاً يكون في مقامه ذلك إلى قيام الساعة إلا حدَّثه، حفظه من حفظه، ونسيه من نسيه، قد علمه أصحابه هؤلاء، وإنه ليكون منه الشيء، فأذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل إذا غاب عنه، ثم إذا رآه عرفه»، وفي الحديث قال رسول الله ﷺ: «إنَّ الله رفع لي الدنيا فأنا أنظر إليها وإلى ما هو كائن فيها إلى يوم القيامة كما أنظر إلى كفي هذه، جيلان من الله جلاه لنبيه كما جلا للنبيين قبله». «المعجم الكبير»، للطبراني، (٢).

وظائف فقه التحولات[١]

يستدعي النظر في علم الساعة البحث عن المعاني والمباني الوظيفية لفقه التحولات، ومما ذكر الحبيب أبو بكر المشهور في كتابه: «المهيع الواضح المأمون في شرح منظومة الفكر الأبوي المأمون في طريق السلامة النبوي المضمون»، ما قاله رضي الله تعالى عنه:

والفقه فيها واجب الدراسة ... لكشف ما يجري من السياسة
ووهم أفكار العقول القاصرة ... أو لغة الكفر المقيت الساخرة
وعودة المسلم للوعي الجلي ... عن دينه في شأن كل مُشْكِل
فقه جدير بوضوح الرؤية ... عما يدور في محيط الأمة[٢]

(١) هذه المادة مفرغة من مجالس شرح كتاب: «دوائر الإعادة ومراتب الإفادة»، للحبيب أبي بكر العدني ابن علي المشهور، في معهد الحوراء للتأهيل والبناء، وكنتُ أيامها قد عقدتُ دورة في سور الحواميم لبعض الداعيات وتطرقنا في بعض المجالس إلى وظائف فقه التحولات.

(٢) ص ١١٨.

إذن هذا الفقه هو الجدير بوضوح الرؤية عما يدور في محيط الأمة، بل عبّر عنه في بعض الكتب بأنه «علم الجُدر» والمقصود بعلم الجدر أي أنَّه العلم المسكوت عنه، وكأنه العلم المتداول خلف الجدار، وفي هذا إشارة للمسلك الذي بين العبد الصالح والكليم موسى عليه السلام ﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٨٢]، لذلك نحن نعبر عن فقه التحولات بتعبيرين:

ـ **التعبير الأول: الوعاء المكتوم**، فيما ورد في حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «حفظت من رسول الله ﷺ وعاءين[١] فأما أحدهما فبثثته، وأما الآخر فلو بثثته قطع هذا البلعوم»[٢]، إشارة إلى ما سماه العلماء بالوعاء المكتوم، أي أن ثمة روايات مكتومة. واختلف العلماء ما هو هذا الوعاء المكتوم؟ هل هي شؤون في حقائق التوحيد؟ أم هي أخبار للمنافقين؟ أم هي من علم علامات السَّاعة وفقه السَّاعة؟ فقالوا: أن العلم

(١) وفي رواية: «جرابين» كما في «مسند البزار» (٨٥١٧)، وأورد ابن حجر العسقلاني في كتابه «فتح الباري» رواية: «حفظت ثلاثة أجرب، بثثت منها جرابين»، وقال: «وقع في المحدث الفاضل للرامهرمزي من طريق منقطعة عن أبي هريرة خمسة أجربة» (١:٢١٦).

(٢) «صحيح البخاري»، (١٢٠).

بعلامات السَّاعة هو الأقرب؛ لدعاء أبو هريرة رضي الله عنه: «اللهمَّ لا أبْلُغنَّ رأسَ الستِّين»، قالوا: وما رأس الستين؟ قال: «إمارة الصِّبيان»[١]، يشير إلى المرحلة اليزيدية في مرحلة الملك العضوض وهي (مرحلة الأغيلمة) التي قال فيها ﷺ: «هلاك أمتي على يدي غِلمة من قريش»[٢].

ـ التعبير الثاني: العلم المكنون، لقول النبي ﷺ في الرواية المعروفة: «إنَّ من العلم كهيئة المكنون»[٣]، هذه الهيئة التي تكلم عنها العلماء، واختلفت فيها العبارات، وطاشت فيها الدَّلالات من أجل بيان سر ما اكتُنز هذا العلم من مخبأ عُبّر عنه في مرحلة من مراحل الأمة (بعلم السِّر) الذي كان يدور في صدور العارفين، وأشار إليه سيدنا الحبيب عبد الرحمن بن عبد الله بلفقيه في كتابه: «فتح بصائر الإخوان شرح دوائر الإسلام والإيمان والإحسان والعرفان» إشارة إلى الأمر الرابع والذي يسمى بعلم العرفان.

وكان مما كتب لنا شيخنا الحبيب أبو بكر الـمشهور في رسالة

---

(١) «المعجم الأوسط»، (١٣٩٧).

(٢) «صحيح البخاري»، (٣٦٠٥)، وفي الحديث عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا بلغ بنو أبي العاص ثلاثين وفي رواية: «أربعون» رجلاً اتخذوا دين الله دغلاً وفي رواية: «دخلاً»، وعباد الله خولاً، ومال الله دولاً». «المستدرك على الصحيحين»، (٨٤٧٩)، و«مسند الإمام أحمد»، (١١٧٥٨).

(٣) «تفسير الرازي» (٢: ٢٥٢)، و«كنز العمال»، (٢٨٩٤٢).

شخصية لانتباه الفقير لهذا العلم وبركة تلقيه وثمره تدليه: «ولعل الله يفتح عليك يا ولدي في آفاق الرّبط بين العِلْمَيْن؛ الكسبي والوهبي، والكُلّي والنِّسبي، والعقلي والقلبي، ومعرفة السِّر الدقيق في سرِّ التَّجاذب الربَّاني في خلقه الإيجابي والسَّلبي».

إذن هذه كلها تبُـيَنِّ ثمرات هذا العلم، فكل علم له ثمرات، ومحتويات، وأبعاد ومرامي؛ لذلك لابد أن نقف في هذه السَّاعة المباركة من ساعات هذا الدرس في كتاب «دوائر الإعادة» لنعرف وظائف هذا العلم.

وإذا أردنا أن نقف على المعاني والمباني الوظيفية لفقه التحولات فلا بد أن نقرأ هذا العلم:

ـ أولاً في القرآن الكريم، أي أنْ ندرس فقه التحولات في القرآن.

ـ ثم أنْ ندرس فقه التحولات في السُّنة الغراء.

ـ ثم أنْ ندرس فقه التحولات في آثار الصحابة الكرام.

ـ ثم أنْ ندرس فقه التحولات في سيرة المُجَدِّدين حتى نقف على المرحلة المعاصرة من عمر الزمن، وندرك شؤون فقه التحولات من حيث:

- محتويات فقه التحولات.
- تطبيقات محتويات فقه التحولات.

• رموز ودلالات وآليات وتمثيلات تطبيقات محتويات بيانات هذا العلم.

لأن هذا العلم قائم على مسلك أشار إليه القرآن في خبر السيدة مريم يوم اتهموها ﴿يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمۡرَأَ سَوۡءٖ وَمَا كَانَتۡ أُمُّكِ بَغِيّٗا ۝فَأَشَارَتۡ إِلَيۡهِ﴾ [مريم: ٢٨-٢٩]، فقالوا أن هنالك علم اسمه «علم الإشارة»، والنبي ﷺ كان يشير في بعض الأحداث، بل إن ثمة علم من العلوم المرتبطة بالإحسان والمرتبطة بالعرفان وأشار إليها القرآن في خبر نبي الله زكريا ﴿أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمۡزٗا﴾ [آل عمران: ٤١]، والنبي ﷺ قال: «يا عم، والله لو وضعوا الشمس في يميني، والقمر في يساري»[1] وهذا ضرب من الرمز، وظهور جبريل عليه السلام وتَمثُّله في الصورة البشرية من عين هذا الرمز، بل إن سور في القرآن كاملة ابتنت على الرمز ومثالها سورة سيدنا يوسف في القرآن التي ابتدأت برؤيا رمزية، ومرت حياة حافلة كاملة بتناقضات وتداخلات وشؤون وتحولات من ساعات ولحظات في البئر إلى القصر وهي من أسرار التمكين التي أبداها الله في نقلة بني إسرائيل إلى مصر مع الأسباط ورأسهم في ذلك سيدنا يوسف العزيز الصديق عليه السلام، فالله سبحانه وتعالى جعل هذه السورة مظهر للرمز.

(١) «البداية والنهاية»، (٣: ٤٨).

لذلك الرمز والإشارة مرتبط بالبشارة والنذارة، والرمز والإشارة مرتبط ارتباط وثيق بفقه التحولات وله وجه إلى الخير ووجه إلى الشر، ووجه في الإيجاب ووجه في السلب، لأنّ أهل الطهارة لهم رمز وإشارة، وأهل النجاسة لهم رمز وإشارة، وأهل التوحيد لهم رمز وإشارة، فالكعبة رمز، ومظهر الوقوف في المحراب رمز، وما أكثر الرموز التي تنتاب هذه الشريعة في مدلولاتها، ولابد للواحد منا أنْ يتأمل في هذه الرموز.. فلماذا كان رمز الأمة في الكعبة مُكَعّب؟ ولماذا لم يكن في شكل آخر أو صورة أخرى؟ لا شك أن لهذا حِكَم ودلالات.

وهكذا فإنَّ أصحاب المدرسة الأبوية النبوية الشرعية، أو المدرسة الأنوية الإبليسية الوضعية لهم رموز وإشارات، وهذه الرموز والإشارات تَدِقُّ في لحظات، ليدركها أربابها ويعرفها أهلها حتى يصطلحوا عليها ويتواضعوا إليها في سر المعركة الأزلية القائمة بين الحق والباطل.

ويدخلنا هذا إلى ميدان الدراسة الحقيقية للوظائف التي ينبني عليها فقه التحولات، ومبدئياً نستخرج لفقه التحولات ثماني وظائف:

١ـ الوظيفة الأولى: (وظيفة آلية):

يُعَدُّ هذا العلم آلة من آلالات ميدان السِّر، وسائق لخلاصة الفكر، كما قال الشيخ العلاوي في قصيدته:

يا سـائق الأفكـار فـي ميـدان السِّـر[١]

لأنَّ كل فكرة تحمل في طياتها معناها الإيجابي والسلبي، فالفكرة الإيجابية كلمة طيبة بمفهوم القرآن الكريم إذا اجتمعت كانت ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [إبراهيم: ٢٤]، والفكرة السلبية كالكلمة الخبيثة في النَّص القرآني ﴿كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾ [إبراهيم: ٢٦].

وكأنَّ منتجات وخلاصات هذا الفقه تبرز في ميدان الأسرار، والأسرار موقع المسارة وهو الهمس في خفاء أو الإسراء وهو السير في خفاء.

وأصل هذا العلم أي أول إظهاره كان إخفاؤه، وهو مسلك فقهاء التَّحول من الصحابة الكرام، وكان البث منهم أو الإظهار على مستويات بحسب المواقف والعلامات:

١ـ فمنهم من بثَّه في صدور الخاصَّة من الصحابة؛ ليبقى سند العلم متصلاً في أهله، ومثال هذا الصحابي أبو هريرة رضي الله عنه.

٢ـ ومنهم من أظهره بمقتضى الحال على أوقات متباينة وفي ظروف مختلفة، ومثال على هذا الصحابي حذيفة بن اليمان وعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهم.

---

(١) من ديوان الإمام أحمد بن مصطفى العلاوي المستغانمي، ص٦٧.

٣ـ ومنهم من اعتمده موقفاً في مرحلته وزمانه ودوره وطوره، ومثال هذا الصحابي علي بن أبي طالب رضي الله عنه وخامس الخلفاء الراشدين الحسن بن علي رضي الله عنهما.

ولذلك يتساءل البعض هل ثمة منهجية مضبوطة لهذا العلم؟ أولاً: مع الأساس القائم الموجود فيه، وثانياً: مع التحوّل الحاصل فيه؟

فنقـول: إنَّ من وظائف هذا الفقه استخراج القواعد الـضابطة الناظمة لحركة الوجود، والقوانين التي يمكن أن نبني عليها فهمنا من جهة، وقراءتنا للواقع من جهة أخرى، واستشرافنا للمستقبل ـ ونسميه (فقه التوقع) ـ من جهة ثالثة.

٢ـ الوظيفة الثانية: (وظيفة غائية):

وهي امتثال الأمر الشرعي، وتخفيف حدة التوتر وإنارة الطريق عند اشتداد الفتن، وزيادة الإيمان في آخر الزمان، ومعرفة دلائل النبوة فيما أخبر بوقوعه ﷺ.

وهذه من أرفع الوظائف والغايات في تأمين المجتمعات؛ لأنَّ الرسالة النبوية لم تأتِ في مرحلة من المراحل لا لخلط الأوراق ولا لتثوير المجتمعات ولا لإشاعة الفوضى حتى في أدق المواقف كفتح مكة، وتصحيح النبي عليه الصلاة والسلام عناوين الدخول إلى مكة أنه

عزة لقريش وليس إذلالاً وأنه جمع للكلمة بوصل الرحم لا لقطعها وأنه يوم مرحمة لا ملحمة، بل وسورة التوبة توضح هذا في مطلعها ﴿ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ﴾آية (٦)، وهو تأمين الكافر نفسه.

٣ـ الوظيفة الثالثة: (وظيفة مبنى):

وتتعلق وظيفة المبنى بالحصانة نفسها لأنه في بعض المراحل تكون الأمة غير مُحَصَّنة، ونقصد بالحصانة هنا الحفظ العام والضمانة لجمعية الأمة وإتفاق كلمتها، كالمرحلة التي نعيشها الآن ونعبر عنها بالمرحلة الغثائية أو مرحلة التداعي، أو مرحلة الوهن، أو العصر المسيّس، أو مرحلة الاستنفار، ويعبر عنها في بعض الأحاديث بالفتنة الرابعة أو الصيلم أو السفيانية[1]، وهذه المرحلة تفرز لنا في فقه التحولات في مبناه

(١) وأصلُ بعض هذه التسميات أحاديث نبوية وردت عن خير البرية ﷺ فمنها:
الغثائية: من الحديث: «... ولكنكم غثاء كغثاء السيل»، «سنن أبي داود»، (٤٢٩٧).
التداعي: من الحديث: «يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها»، «سنن أبي داود»، (٤٢٩٧).
الوهن: من الحديث: «... وليقذفن الله في قلوبكم الوهن»، فقال قائل: يا رسول الله، وما الوهن؟ قال: «حب الدنيا، وكراهية الموت»، «سنن أبي داود»، (٤٢٩٧).
الفتنة الرابعة: من الحديث: عن النبي ﷺقال: «الفتنة الرابعة تعرك فيها أمتي عرك الأديم»، «كتاب الفتن» لابن حماد، (١٢٧).
الصيلم: من الحديث: «يكون في هذه الأمة خمس فتن، فقد مضت أربع، وبقيت واحدة، وهي الصيلم»، «مسند الإمام أحمد»، (٢٠٦٩٦). =

الحصانة المطلوبة للمواقف، والحصانة المطلوبة للذوات، والحصانة المطلوبة للأمة، والحصانة المطلوبة للشعوب، لكي تتجاوز المرحلة ولا تسقط في المحظورات والمحذورات الشرعية والزمنية والواقعية، التي يمكن أن تُفْسد عليها ديانتها ومهمتها التي اقتضاها الله سبحانه وتعالى لهذه الأمة خلافة عنه ونيابة عن أنبيائه.

ولذلك ورد في الخبر عن النَّبي ﷺ أنه: «ليس للمؤمن أن يُذلَّ نفسه»، قالوا: وكيف يُذلُّها يا رسول الله؟ قال: «يتكلّفُ من البلاء ما لا يطيق»[1]، فكيف بالأمّة بجمعيتها وجماعتها ومجموعها؟!

٤ـ الوظيفة الرابعة: (وظيفة معنى):

ويستفاد من وظيفة المعنى مفهوم (الإمامة) وهي الرتبة الباطنية التي تعادل رتبة المجتهد المطلق في الفقه الظاهر المتداول بالشعائر والأنساك، وهذه الإمامة وردت في نصوص الكتاب والسنة، من ذلك قول الله تعالى لسيدنا إبراهيم عليه السلام: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ [البقرة: ١٢٤]، وفي مظهر المنّة على بني إسرائيل ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ [الأنبياء: ٧٣]، وفي الحديث: «يكون عليكم اثنا عشر

= **السفيانية**: من الحديث: «يخرج رجل يقال له: السفياني... »، «المستدرك على الصحيحين»، (٨٥٨٦).

وغيرها من الأحاديث النبوية الدالة على ذلك.

(١) «مسند الحارث»، لابن أبي أسامة، (٧٧٣).

إماماً كلهم من قريش»[١]، فهذه الحالة الروحية والمنقبة الذَّاتية التي توصل صاحبها إلى أن يكون على قدم من الاجتهاد في المواقف بحسب العلامات، فيُعَبَّر عنها بوظيفة المعنى، وفي فقه التحولات يجعلنا ننظر إلى المتبوعيين في كل زمن وفي كل مرحلة من أصحاب سُنَّة المواقف، وفي هذا جاء الحديث عن النَّبي ﷺ: «..فعليكم بسنَّتي وسُنَّة الخلفاء المهدِّيين الرَّاشدين»[٢]، فكل خليفة نبوي حتى في مظهر العلم دون الحكم ينظر في قيدي (الرشد) و(الهداية) في مساره وقراره تكون مواقفه مسنونة.

٥ـ الوظيفة الخامسة: (وظيفة ذاتية):

والوظيفة الذاتية وما بعدها الوظيفة الموضوعية نفهمها من حديث النبي ﷺ «بعثت أنا والسَّاعة كهاتين»[٣] وأشار إلى السبابة والوسطى، وكأنه إشارة إلى الإرتباط بين الذات والموضوع في فقه التحولات فـ«أنا» وإن كان يشار فيها إلى ذات الحبيب الأعظم ﷺ إلا أنها تتجدد في كل زمن في مظهر وراثته، و«السَّاعة» وإن كان المشار إليها هو الحدث الكبير الكوني في ارتحال الناس عن هذا العالم،

(١) «صحيح البخاري»، (٧٢٢٢)، و«صحيح مسلم»، (٦)(١٨٢١).

(٢) «سنن أبو داود»، (٤٦٠٧).

(٣) «صحيح البخاري»، (٦٥٠٤)، و«صحيح مسلم»، (٢٩٥١).

وفناء هذا العالم وتحولهم إلى العالم الباقي الأبدي السرمدي، إلا أن موضوع السَّاعة متجدد بتجدد الأمارات والأشراط ﴿فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا﴾ [محمد: ١٨]، وفي الآية ﴿لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ١٨٧]، وإن كان السَّاعة في ذاتها تأتي بغتة، وإن كانت بعثة النبي ﷺ تأتي مؤقتة، لكن لا تزال الشريعة التي ظهر فيها تتجدد مع الزمان والمكان بسرّ الخاتمية وبركة الختم التي كانت لنبوة النبي محمد ﷺ، فهذه الوظيفة الذاتية تبرز في قوله: «أنا»، والوظيفة الموضوعية تبرز في قوله: «السَّاعة»، ويكون الارتباط هذا في وظائف فقه التحولات ليظهر في كل زمن أصحاب هذا العلم؛ لأنه يعد كما أخبر النبي ﷺ: «إذا لعن آخر هذه الأمة أولها فمن كان عنده علم فليظهره[١] فإن كاتم العلم يومئذ ككاتم ما أنزل على محمد»[٢]، من هنا تبرز المسؤولية النَّبوية لهذه الوظيفة الذاتية في علم السَّاعة وهو ما يعبر عنه (بالأوعية)، وهو ما يعبر عنه كذلك (بالصدور) و(بالذوات)، وهو ما يعبر عنه في الآية الكريمة: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ [العنكبوت: ٤٩]، حتى أشار النبي ﷺ أن لهذا الدين عدول ينفون عنه الأمراض التي تأتي طارئة على نصوص الشريعة كالغلو، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين،

---

(١) وفي رواية: «فلينشره» كما جاء في «جامع بيان العلم وفضله» للقرطبي، (٧٨٣).
(٢) «المعجم الأوسط»، للطبراني، (٤٣٠).

وتحريف الغالين[١]، فهنالك صفات لذوات خرجت عن دائرة الوراثة وأخذت تمارس نوع من الأمراض التي طرأت على النَّص، فكان عند الغلاة تحريف، وكان عند المبطلين انتحال، وكان عند الجاهلين تأويل ومن أمثلتهم: «الأئمة المضلون»[٢]، «الرؤوس الجهّال»[٣]، «السهام المارقة»[٤]، «كلاب النّار»[٥]، «دعاة على أبواب جهنم»[٦]، ولكل

(١) كما جاء في «السنن الكبرى» للبيهقي، (٢٠٩١١) عن النبي ﷺ قال: «يرث هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تأويل الجاهلين، وانتحال المبطلين، وتحريف الغالين».

(٢) في الحديث: عن أبي الدرداء، قال: عهد إلينا رسول الله ﷺ: «أن أخوف ما أخاف عليكم الأئمة المضلون»، «مسند أحمد»، (٢٧٤٨٥).

(٣) في الحديث: «إنَّ الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من الناس، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، فإذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤوساً جهالاً، فسئلوا فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا»، «سنن ابن ماجه»، (٥٢).

(٤) في الحديث: «إن من ضئضئ هذا، أو: في عقب هذا قوماً يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية، يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان، لئن أنا أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد»، «صحيح البخاري»، (٣٣٤٤)، و«صحيح مسلم»، (١٥٩)(١٠٦٨).

(٥) في الحديث: «الخوارج كلاب النّار»، «سنن ابن ماجه»، (١٧٣).

(٦) في الحديث: «.. دعاة على أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها» قلت: يا رسول الله صفهم لنا، قال: «هم من جلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا»، «صحيح البخاري»، (٧٠٨٤)، و«صحيح مسلم»، (٥١)(١٨٤٧).

أصحاب نحلة وملة مسلكهم في إفقاد هذا النص قدسيته وخصوصيته ومداه، ومن هنا تبرز الوظيفة الذاتية لفقه التحولات.

٦ـ الوظيفة السادسة: (وظيفة موضوعية):

وتبرز الوظيفة الموضوعية من سر الملاحظة والمتابعة، قال ﷺ: «بعثت أنا والسَّاعة جميعاً، إن كادت لتسبقني»[١]، وفي رواية قال ﷺ: «بعثت في نَفَس السَّاعة»[٢].

وهذه التشبيهات والتقريبات يمكن أن تجمع في جزء خاص، واستجلاء السياقات القرآنية التي أوردتها والأحاديث النبوية التي أضافتها، فيتسع مشهد التداول والتناول بهذا المدى والأفق لحسن التوفيق بين المجريات القدرية والسّنة الكونية والوعود الإلهية، وبين المطالب الشرعية والاكتسابات الآدمية والمدافعات الإنسية ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ [البقرة: ٢٥١]، وفي قراءة: ﴿ولولا دفاع﴾[٣].

٧ـ الوظيفة السابعة: (وظيفة داخلية):

وهي من أبرز وظائف فقه التحولات وتُعنى بصيانة الثوابت الثلاثة،

---

(١) «مسند الإمام أحمد»، (٢٢٩٤٧).

(٢) «سنن الترمذي»، (٢٢١٣).

(٣) انظر: «السبعة في القراءات»، للأحمد بن موسى البغدادي، ص ٤٣٧.

في مراتب الإيصال والوصول في العلوم التي فهمناها، مرتبطة موصولة بالإسلام والإيمان والإحسان، منبثقة عنها وخادمة لها ومتفرعة منها متأصلة ارتباط الفهم عن الكتاب والسنة فيما يقع من شأن الشعيرة بالعبادة، وما يقع من شأن الإذعان والتصديق في العقيدة، وما يقع في جانب المعاملة للحق أو الخلق في جانب الإحسان في ركنيه المشاهدة وأشير إليها في الحديث «أن تعبد الله كأنك تراه»، والمراقبة وأشير إليها في الحديث «فإن لم تكن تراه فإنه يراك»[١].

وهذه الوظيفة الداخلية لفقه التحولات تحفظ هذه الثوابت الثلاثة كوحدة شرعية ووحدة موضوعية عن نقض العرى التي أشار إليها النبي ﷺ في مرحلة من المراحل؛ بأنه يأتي نقض العرى على الأمة كما جاء في الحديث «لتنقضن عرى الإسلام عروة عروة، فكلما انتقضت عروة تشبث الناس بالتي تليها، وأولهن نقضاً الحكم وآخرهن الصلاة»[٢]، ونعبر عن هذه المظاهر من النقض باللغة المعاصرة بأنها أشبه ما يكون بتفكيك النسب الجامعة، والإرتباطات بعلائق الديانة فيما تشكل وما تيسر من شؤون خطاب الله سبحانه وتعالى للمكلفين، وتفكيك النسب لم يبتدئ من يوم أو يومين، أو سنة أو سنتين ولكنه امتد عبر قرون.

---

(١) «صحيح البخاري»، (٥٠)، و«صحيح مسلم»، (٨).

(٢) «مسند الإمام أحمد»، (٢٢١٦٠).

والوظيفة الداخلية لفقه التحولات وظيفة صيانة وحفظ لعلوم الأمة وثوابتها في الإسلام والإيمان والإحسان، وفي الفقه والعقيدة والسلوك، وفي مدارس الفقه الظاهر ومدارس الفقه الباطن.

٨ ـ الوظيفة الثامنة: (وظيفة خارجية):

وإذا كانت الوظيفة الداخلية لفقه التحولات تتعلق بالصيانة، فإن الوظيفة الخارجية لفقه التحولات تتعلق بالصياغة، وهي تجديد لغة الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى.

والوظيفة الخارجية تجعلنا اليوم في هذه المرحلة من عمر الزمن مع طوفان العولمة وتداعي العالم ومع حركة الأفكار وسيولة المعلومات وسهولة الاتصالات، أن نجدد لغة الدعوة إلى الله، وأن نجدد لغة الخطاب كما عبّر القرآن الكريم عنها ﴿وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾ [ص: ٢٠]، نحن محتاجين أن نراجع في كل مرحلة ما هي أهداف الخطاب؟ وماهي وسائله وأساليبه؟ وما هو مضمون الخطاب؟ حتى يقع لنا نوع من التجديد الذي يقع في كل زمن، وانظروا إلى القرآن الذي قال الله سبحانه وتعالى فيه: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ﴾ [مريم: ٩٧]، أي أنه وقع التيسير باللسان المحمّدي، ولو لم يقع للقرآن هذا التيسير باللسان المحمّدي لكان القرآن معجماً حتى لأهل العربية، لكن لمّا وقع التيسير باللسان المحمّدي تدفقت المعاني بالفهم لطبقات في الأمة، ومراتب ودرجات

في الأمة حتى لا يزال إلى يومنا هذا نأخذ نصيبنا من هذا الكتاب الكريم وهذه المائدة الربانيّة.

وصياغة اللغة جزء منها أن نرجع الصلة بين العلوم فيكون اللسان المتكلم قد تأسس في اللبنات الأولى للعقائد، مع اللبنات الأولى للفقه، مع اللبنات الأولى للذوق، وفي هذا تأكيد لحديث النبي ﷺ «إنَّ الدِّين بدأ غريباً ويرجع غريباً، فطوبى للغرباء الذين يصلحون ما أفسد الناس من بعدي من سنتي»[1]، فيغدو هنالك وصل بين العلوم؛ لأن المرحلة الماضية عاشت الأمة جزء من فصل العلوم فأصبح لعلم العقائد طائفة من المتكلمين برزوا في مظهر الجدل فأخذ ينتقد عليهم الفقهاء جدلهم، ودخل الفقهاء في مرتع الحيل فأخذ الناس ينتقدون على الفقهاء الحيل، ودخل أهل التصوف والذوق في مسألة الشطح فأخذ ينكر عليهم الناس الشطح الذي دخلوا فيه وانشطرت المدارس على درجات:

١ـ ففي الدرجة الزمنية التاريخية اتسعت المسافة بين المتقدمين والمتأخرين في كل مدرسة.

٢ـ وفي الدرجة المكانية الجغرافية تشظت الحالة العلمية بحسب ما قبل النهر وما وراء النهر في مرحلة، وفي مرحلة أخرى بين

(١) «سنن الترمذي»، (٢٦٣٠)، و«مسند أحمد»، (٩٠٥٤).

مدرسة المشرق ومدرسة المغرب، وفي مرحلة لاحقة بين حاضرة عربية وحاضرة عجمية.

٣ـ وفي الدرجة الإنسانية اختزلت التكاليف الحيوية الجمـود والتعدد في المدلول اللفظي بالحرفية والسعة في الاختلاف بالعصبية والتهذيب للتدين الإنساني بالذرائعية، وتداخلت درجات الأحكام ومراتبها ووظائف العلوم ومقاصدها وانتقضت العُرى كما الإشارة في الحديث النبوي لكل من مرتبة الإسلام ومرتبة الإيمان ومرتبة الإحسان.

لكن لو رجع الأمر إلى وصل العلوم لربما ضعفت هذه الإفرازات التي هي ليست من صلب كل علم أو مسلك، فحصل نوع من التجديد في اللغة والوصل في الثوابث.

❊ ❊ ❊

المدرسة الأبويّة والمدرسة الأنويّة[١]

لم يزل العالم منذ بدء الـخَلق يمثل استقطاباً بين قيمتين أساسيتين وحراكاً بين مسلكين اثنين، (الحق والباطل)، فالله خلق الخلق وجعلهم ضمن هاتين الدائرتين، وعن هذا يعبر المفكر أبو بكر العَدني في كتابه «المسلمون في مجتمعات الذلة بين سياسة الدجل وعبادة العِجل»:

«هناك تسلسل أزلي معروف وتدرج منهجي موصوف منذ عهد البداية الإنسانية في العالم لا يمكن الفصل بين مراحله ولا ثوابته ومسائله وإن تعددت وتنوعت بعض وسائله الأول: تسلسل الآدمية خلقاً ومسؤوليات وإنسانية موجهة، والثاني: تسلسل الشيطانية الإبليسية خلقاً وكفراً وتصيداً وتربصاً، بهذه الآدمية ومسؤولياتها وبهاتين الرؤيتين الشرعيتين في العالم تنطلق عقول وقلوب أهل الإيمان والإسلام والإحسان مدركين معنى الثواب عن الخير والعقاب على الشر وملبين نداء الفطرة وعاكفين على صلاح ما فسد منها، كما تنطلق في جانب

(١) منشور في صحيفة الغد الأردنية في عام ٢٠٠٥م.

آخر عقول وقلوب أهل الكفر والنفاق والإفك والدجل لتحقيق رغبة الشيطان في إفساد الخليقة واحتناكها وتسخير مرادات الله في غير ما خلقت له، ومن هذه المنطلقات أيضاً يتحدد الأساس الذي تنطلق به ومنه كلتا المدرستين العالميتين المدرسة الأبوية النبوية الشرعية والمدرسة الأنوية الشيطانية».

فالناس من لدن خلقهم الله تعالى فريقان فريق يتعشق الحق ويموت دونه وينافح عنه، وفريق يلج في الباطل ويتأكل ويعيش به ويعيش له، ولكل فريق مسالك ومدارك ومناهج وبرامج.. فأول موجودات الإنس آدم الذي طلب إبليس أن يقعد له ولذريته ليصرفهم عن غاية ما خلقوا له وشعاره ﴿قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ﴾ [الأعراف: ١٢]، وهذه هي ملامح التدافع الأول بين الحق والباطل بينة واضحة، ولن تقوم السَّاعة كما جاء في الحديث حتى يفترق الناس إلى فسطاطين فسطاط حق خالص لا باطل فيه وفسطاط باطل خالص لا حق فيه[1]، وبين بداية الخلق وقيام السَّاعة تسلسل كما في مدرسة إبليس حمله من كل جيل أهل الكفر ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ إِذۡ قَالَ لِلۡإِنسَٰنِ ٱكۡفُرۡ﴾ [الحشر: ١٦]، ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيّٖ عَدُوّٗا شَيَٰطِينَ ٱلۡإِنسِ وَٱلۡجِنِّ يُوحِي بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ زُخۡرُفَ ٱلۡقَوۡلِ غُرُورٗا﴾ [الأنعام: ١١٢].

---

(١) انظر: «سنن أبي داود»، (٤٢٤٢).

وقد ضربتْ لنا آي الذكر أمثلة من هذا في قصص الأنبياء وأخبار من كاد لهم وحاربهم في كل زمان، فمن مظاهر الفساد السياسي (فرعون)، ومن مظاهر فساد البطانة (هامان)، ومن مظاهر فساد أصحاب المال (قارون)، ومن مظاهر فساد أصحاب العلم من أتاه الله آياته فانسلخ منها وكذا كفار قريش، ونهاية هذا بأعظم فتن الدنيا (الدجال)، الذي جاءت فيه أحاديث كثيرة ولم يزل يتعوذ ﷺ في كل صلاة من فتن المحيا وفتن الممات وفتنة القبر وفتنة المسيح الدجال[١].

فأعظم فتن الممات القبر وأعظم فتن الحياة هو خروج هذا الدجال الذي يطوف الأرض في أربعين يوماً يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وباقي الأيام كأيامنا[٢]، وتنفعل له بعض مظاهر الكون استدراجاً، وبين يدي الدجال دجاجلة كثيرون.

وفي الجهة الأخرى يقف أهل الحق من الكمّل ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾ [النساء: ٦٩].

ولم تزل بعثة الأنبياء من بعد آدم في نوح وإدريس وهود وصالح التي برزت في مسالك ناسبت طور الاجتماع البشري في بدايته، لتكون

(١) انظر: «صحيح البخاري»، (٨٢٣)، و«صحيح مسلم»، (٥٨٨).
(٢) انظر: «صحيح مسلم»، (٢٩٣٧).

بعثة إبراهيم علامة فارقة في الرسالات من قبلها وتنتقل من مرحلة الأفراد إلى المؤسسات، فشيّد وإسماعيل ابنه البيت الحرام، وأذن في الناس ليقصدوه بالحج طلباً للتزكية والتربية، وجعل اسحاق عند بيت المقدس، ومن بعد اسحاق يعقوب، ومن بعد يعقوب يوسف، وجاءت رسالة موسى وكان الفطن مؤمن آل فرعون يخاطبهم ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ [غافر: ٣٤].

فثمة ترابط بين الرسالات ومن بعد موسى عيسى ومع كل نبي رجال، ولكل نبي عدو شياطين الإنس والجن حتى جاءت رسالة النبي الخاتم ﷺ وقد قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام: ١٢٤].

ولم تزل البشرية تعيش مظاهر من ارتكاس المفاهيم، فجاءت الرسالة لتبسط الهداية وتبرز الأخلاق «إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق»[١].

ويحمل هذه الرسالة من كل خلف عدول ينفون عن الدين تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين[٢].

ولكل نسبة في الأخذ بالرسالة والقيام بوظيفة الدلالة؛ فـ«العلماء

---

(١) «مسند أحمد»، (٨٩٥١).

(٢) انظر: «السنن الكبرى»، للبيهقي (٢٠٩١١).

ورثة الأنبياء»[١]، و«المؤذنون أطول الناس أعناقاً يوم القيامة»[٢]، و«الإمام ضامن»[٣]، ولا يزال الحق يقيم في قوابل الأيام والليالي من يجدد بهم الدين ويحيى سنة سيد المرسلين من أهل المعالي، لقوله عليه الصلاة والسلام: «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مئة سنة من يجدد لها دينها»[٤].

حتى تنتهي هذه الصفوة إلى نزول عيسى عليه السلام كما تواترت الأخبار عن صفوة الأنام ﷺ، فينزل كما جاء في الصحيح بين يدي ملكين يقطر ماء عند المنارة في دمشق والناس قد قاموا لصلاة الفجر فيقدمونه، ولئلا تبرز شبهة المفارقة لآخر الأنبياء ﷺ وهو على خط الموافقة والمرافقة يقول ﷺ: «.. وإمامُكم منْكم»[٥].

فهو على قدم الأتباع حتى يتنادى إليه صفوة الأتباع في ذاك الزمان، ويكون ثم لقاء مع وريث المدرسة الأنوية الدجال وتنتهي فتنته على يد عيسى ومن معه بأمر البر المتعال.

---

(١) «سنن الترمذي»، (٢٦٨٢)، و«سنن ابن ماجه»، (٢٢٣).

(٢) «صحيح مسلم»، (٣٨٧).

(٣) «سنن الترمذي»، (٢٠٧)، «سنن أبي داود»، (٥١٧)، «سنن ابن ماجه»، (٩٨١).

(٤) «سنن أبي داود»، (٤٢٩١).

(٥) «صحيح البخاري»، (٣٤٤٩)، و«صحيح مسلم»، (١٥٥).

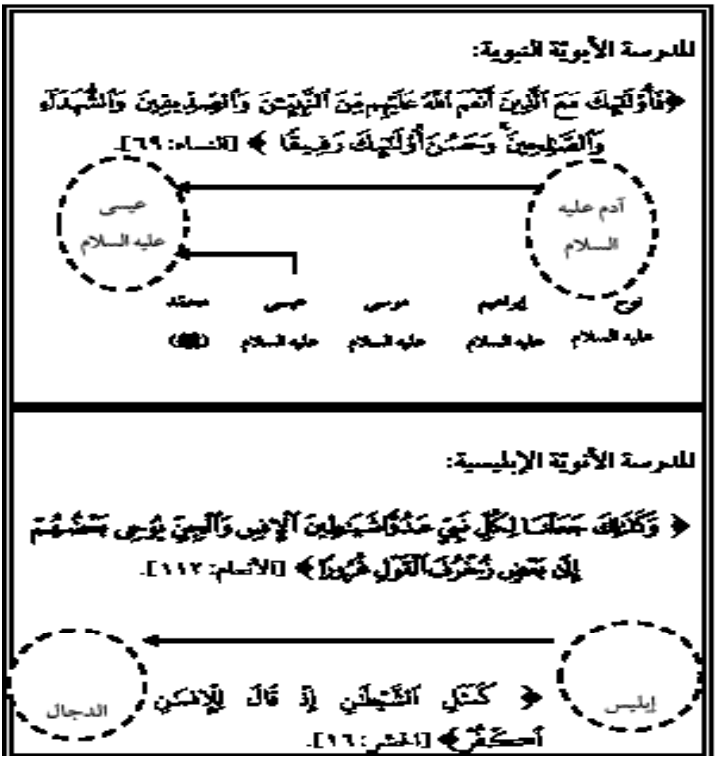

هذا توصيف موجز لأبجديات الصراع بين المدرسة الأبوية (الحق) والمدرسة الأنوية (الباطل) في الرموز والرجالات.

أما عن مناهجهم وبرامجهم: فالمدرسة الأبوية تفهم أن الوجود وما فيه لله مالك الملك وصاحب الأمر، وأن كل ما في هذا العالم سترحل

شؤونه إلى يوم الفصل ليقضي بين الناس، فينعم من ارتقى في مراتب الكمالات ينشد صقل استعداداته وبناء ذاته، وهذه هي غاية بعثة الرسل وإنزال الكتب ﴿يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧]، والظلمات هنا ما استقر من نقص وضعف وقصور وهوى في تكوين الإنسان حتى يتقدم إلى مشارف النور وهو الكمال، كماله في إقامة نفسه على أمر ربها، كماله في فهم حقائق الأشياء وكنهها، كماله في عمارة الأرض وبنائها، كماله في الخلافة والنيابة وحمل الأمانة وتحقيق العبودية وحقائقها، فيتحقق هذا الكائن الوافد إلى هذا العالم باتساق حركته؛ وهذا لكون الذي اشترك معه في الوجود وسخر له مسرحاً يقيم فيه شؤونه ويحيى فيه طاقاته، يتخذ من مواقف الكمل الأنبياء ومن معهم من الصديقين والصالحين قدوة وأسوة، يتحقق بالأخلاق والقيم، يجتهد على قلبه تصفية وتنقية وتخلية وتحلية ومراقبة، ويجتهد على عقله فهماً وفكراً وإيماناً، ويجتهد على الآخر تأليفاً وتعريفاً..

وفي المقابل المدرسة الأنوية مدرسة (أنا، لدي، عندي) في نسبة الأشياء إلى الذات تعظيمها والتغول على من سواها تصيداً ومكراً، مدرسة تحكيم الهوى وترك منهج الهدى، مدرسة إفراغ العمر في الشهوات وإفساد العقل في سائر الشبهات، مدرسة الفساد والإفساد، مدرسة الجاهلية.

وإذا كانت المدرسة الأبوية واضحة المعالم بينة الطريق فهذا يعود إلى وحدة مصدرها وقوة ثباتها، بخلاف المدرسة الأنوية التي تتعدد طرائقها متباينة متقاطعة متعارضة ضمن المدرسة الأم التي يقوم ثابتها الوحيد عدم وجود ثابت وحقها الأكيد عدم ثبوت الحق في مرتبة واحدة وجهدها الناجز شعرت أم لم تشعر بقاء البشرية في مستنقع آسن مع تعدد صور التحضر منزوع القيم والرسالة.

إن مثل هذا التصور بطبيعة السير البشري والفعل الإنساني وإن برز فيه استقطاب حاد بين كتلتين إلا أن كل كتلة فيهما تتراكب من مراتب يتمايز فيها أصحابها ورجالها، ففرق بين سابق باذل وآخر تئد خطواته وثالث يقدم رجلاً ويؤخر أخرى، إلاّ أنه يعطينا فرصة حقيقية لنعيد النظر في أمرنا ومهمتنا ونحدد مواقعنا ﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ ﴾ [الصافّات: ٢٤].

❊ ❊ ❊

هلك المُتنطّعون(١)

يقصر بعض الناس التنطع ـ وهو الغلو في الشيء وترك القصد في الأمر ـ على جوانب ضيقة من سلوك الإنسان وتصرفه، بينما تتسع مساحة التنطع لتشمل صوراً كثيرة من الإفراط والتفريط وترك الإعتدال والتوسط.

وقد يأخذ هذا التنطع مسلكاً جماعياً تمتاز به مناهج ومذاهب، وإذا استعرضنا نماذج المتقابلات المختلفة معرفياً لوجدنا أمثلة واسعة على هذا التنطع، ونجد مثال هذا في مسألة العقل والنقل والتي قد ثار جدل كبير حولها حتى صدر حجة الإسلام الغزالي مقدمة كتابه: «الاقتصاد في الاعتقاد» بالثناء على توسط أهل الحق في مراعاة القواطع العقلية والنقلية، مبيناً زلل المتنطعين لمسلكين فيقول:

«وتَحققوا ـ أي أهل الحق ـ أن لا معاندة بين الشرع المنقول

(١) منشور في جريدة الغد الأردنية بتاريخ ١٠/٣/٢٠٠٦م بعنوان: (مسلك التوسط والاعتدال).

والحق المعقول، وعَرفوا أن من ظن من الحشوية وجوب الجمود على التقليد واتباع الظواهر ما أتوا به إلا من ضعف العقول وقلة البصائر، وأن من تغلغل من الفلاسفة وغلاة المعتزلة في تصرف العقل حتى صادموا به قواطع الشرع ما أتوا به إلا من خبث الضمائر، فميل أولئك إلى التفريط وميل هؤلاء إلى الإفراط وكلاهما بعيد عن الحزم والاحتياط»[1].

يمثل هذا النص قطعة معرفية فريدة نابضة تضع اليد على مسلك التوسط والاعتدال بعيداً عن تنطع إلى يمين أو شمال، ومن قديم أقام المتكلمون ـ علماء العقائد ـ قانوناً كلياً مفاده: (أن لا تعارض بين قواطع العقول وقواطع النقول مطلقاً وهذا من المستحيل العقلي)، قال سبحانه وتعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤].

فخلقه عقلنا، وأمره شرعنا، والعقل دليل ثبوت الشرع من حيث إثبات الموجد جلّ وعلا، وجواز بعثة الرسل والدلالة على صدق المعجزة وثبوت التسليم لها شرعاً ووقوع التكليف بذلك، وأيّما تعارض وقع في مسائل اختلفت مصادرها عقلية أو نقلية، فالعبرة والتقديم للقطع من أي مصدر كان شرعياً أو عقلياً..

وثمة تنطع آخر يبرز في الصلة بين الكتاب والسنة بوصفهما الشرع الموصى به، فيبرز أقوام يضربون بسهم في الكتاب مع غض للسنة، ودورها

(١) «الاقتصاد في الاعتقاد»، لحجة الإسلام الإمام الغزالي، ص ٩.

ورد لأحاديث جياد أسانيدها، وقد جاء عنه ﷺ: «لا أُلفِيَن أحدكم متكئاً على أريكته يأتيه الأمر من أمري مما أمرت به أو نهيت عنه، فيقول: لا ندري، ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه»[١].

فهذا إسقاط لدور السنة في البيان والتشريع، يقابله تنطع بتحصيل أسانيد الروايات وضبط ألفاظ الحديث ومعارضته على ما وصل إليه من غلبة الظن في ثبوته ودلالته بقواطع من الكتاب، وقد ذكر بعض العلماء أمثلة لهذا ممن يحفظ حديثاً بأسانيد مختلفة يعضدها بالمتابعات والشواهد، وتراه يقرأ أول سورة الفيل بالمد (ألف لام ميم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل)، ويقصر أول البقرة (الم ذلك الكتاب لا ريب فيه). ويعجب المرء عندما يجد أمثال هذا، حتى إذا سمع قوله ﷺ في وصف طائفة الخوارج: «يقرءون القرآن، لا يجاوز تراقيهم، يقولون من قول خير البرية»[٢].

ومسألة العلاقة بين الكتاب والسنة مرجعها إلى علم أصول الفقه، فهو العلم الذي يبحث في آليات إنتاج الخطاب، وقد أنضج العلماء باب العلاقة بين الوحيين الكتاب والسنة، ومسلك الهدي فيها، ونزوع الكتاب إلى الأحكام الكلية الشاملة المقصدية مفصلاً فيما من شأنه الثبوت بكم

---

(١) «سنن أبي داود»، (٤٦٠٥).

(٢) «سنن الترمذي»، (٢١٨٨).

وكيف؛ كتعدد الزوجات وحصص الميراث، والسنة اقتربت من البيان العملي والهدي التفصيلي والمشهد التنزيلي لتوجيهات الحق جل وعلا.

وتنطع ثالث قد أخذ مساحة في التاريخ الإسلامي، وخصوصاً بعد مرحلة الخلافة الراشدة المباركة، يتعلق بشأن رجال الصدر الأطهر وخير القرون، وتنطع طائفتين أعلت الأولى من شأن العترة مع قول بردّة الأصحاب والقذع فيهم والسباب، وأين هم من قوله ﷺ: «لا تسبُّوا أحداً من أصحابي، فإنَّ أحدَكُم لو أنفقَ مثلَ أُحدٍ ذهباً، ما أدركَ مُدَّ أحدهمْ، ولا نَصيفَه»[1].

وغضت الثانية في مقابلهم من العترة، وغلت في بعض التابعين ممن كانوا في زمنهم سموا في التاريخ بالنواصب، فأين هم من قوله ﷺ: «أُذكِّركُمُ الله في أهْل بَيتي..»[2].

وقد فرّقت كلتا الطائفتين بين ما اجتمع من نسبتيه؛ نسبة الآل ونسبة الصحب، ومن تمعّن في دراسة التاريخ لأدرك انتفاء البغضاء بين الصحابة الكرام والعترة الطاهرة، وتعدي الأمر بينهم إلى النسب والمصاهرة، فباب السعادتين بتحصيل النسبتين.

وتنطع آخر برز في مسلك الفهم للنصوص وتأويلها ومواضعات

(١) «صحيح مسلم»، (٢٥٤١).
(٢) «صحيح مسلم»، (٢٤٠٨).

ألفاظها، لنرى فِـرَقاً غلت في نزوعها إلى باطن معانٍ لا صلة بينها وبين الألفاظ الدالة عليها، أخرجتها عن مقصودها وفرغتها من دلالتها، فجعلوا القرآن حقلاً لألفاظ تواضعوا على جعلها رمزاً لأصول فكرهم، فكانوا هم حُلَّاس بابه وسدنة أحكامه، أُطلق عليهم (الفرق الباطنية)، يقابل ذلك تنطع في جهة الظاهر من غير طلب لباطن المتصل به المشير إلى مقاصده التي هي أثر عنه، وجماع الأمر أن ثمة صلة بين الظاهر والباطن لا يخرج الباطن فيها عن حكم الظاهر، فلا يأتي بأحكام جديدة ومعانٍ بعيدة ولا يقف الظاهر وفيه من سعة اللفظ والمعنى ما يجعل فيه ثراء المعرفة وحلاوة الفهم كالحديث: «لا تَدخلُ الملائكةُ بيتاً فيه كلبٌ ولا تَصاوير»[1].

فيأخذ العلماء حكماً فقهياً شرعياً بذلك ومعنى ذوقياً؛ بأن قلب المؤمن بيت لا تدخله الملائكة ما دام فيه أخلاق الكلاب وانعكاس صور التعلق بالدنيا، ولا يخرج هذا الذوق في معارضته لذلك الحكم بل هو استئناس وقد فصّل في ذلك الغزالي في الجزء الأول من الإحياء.

وتنطع معاصر يمثل استقطاباً إلى طرفين يَغيب فيهما توسط النظر واعتدال الفكر، ألا وهو التقابل بين نظرتين إلى النص والواقع يجعل فيها حامل النص من غير قراءة للواقع وفهم له بتناقضاته وتداخلاته تناسياً

(١) «صحيح البخاري»، (٥٩٤٩).

عن مناسبات البلاغ ومواقع التنزيل وتحقيق المناط، ويقف على الطرف الآخر واقعٌ في الواقع وسؤالاته متجاهلاً لنصوص الوحي وتوجيهاته، يغض من التنزيل في محاولة بالغة لإعمال أدوات التأويل في صرف العمل بالنص والبلاغ..﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ [النساء: ٦٥].

وكمال الفهم للواقع استصحاب نظر الإيمان فيه إدراكاً لسنة الحق في الأسباب والمسببات والكائنات ومراعاة للاعتدال والتوسط في الفهم والبناء والعمل والتغيير؛ لتبرز معالم الصدق والوضوح والانضباط في صور الأعمال الممتزجة بنور الوحي وهداه، إيماناً بما وعد الحق جلّ وعلا، وعملاً بما كلّف ورجاء بما وعد، مع استحضار روابط الماضي والحاضر والابتداء والعاقبة والحس والمعنى في فهم الواقع، وهذا تتضافر فيه دوائر ثلاث: استخلاص تجارب الماضي واستيعاب الواقع بمعطياته واستشراف المستقبل بآماله، ولا يخرج شيء من هذا عن أمر مالك الملك جلّ وعلا..﴿ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ﴾ [الزمر: ٦٧].

ولو أخذنا نبحث عن أسباب هذا الغلو الحاصل في اتجاهات متقابلة بعضها متناقض وبعضها متضاد متعارض تتجلى صوره في بعض

ما ذكرنا، ويغدو من حالة فكرية خاصة إلى عقل جمعي له أسس ينطلق منها ومحددات يسير فيها ومآلات يبتغي التوصل إليها، ويتحرك من فكر كان يبحث عن مكان هادئ ينعم فيه بالاستقرار على مسرح الحياة إلى سيف يحمل فيه على من يخالفه كل أشكال الاقصاء، ويتمحور من موقف تاريخي أو حدث اجتماعي أو اجتهاد بشري إلى عقيدة يغدو فيها الموقف أو الحدث أو الاجتهاد الفكرة المركزية التي تدور في فلكها الأفكار من سواها.

كثيراً ما تشد هذه الظاهرة العقلاء لجلاء حقيقة هذا الأمر وأسبابه فإذا بكل غلو حاصل يرجع في بدايته إلى مشكل في الفهم يتسلسل في أصلاب أصحابه أو هوى في النفس يجد له من ينسج على منواله.

ويتشكل مع تقادم الزمان وتبرز مظاهره وظواهره ولا يزال يتمدد في كل فراغ ناشئ ويأتي يوم يحسبه الناظر منجزاً معرفياً حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً وقد استقر في وعي الناظر وإدراكه: «**هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ**»[1].

* * *

(١) «صحيح مسلم»، (٢٦٧٠).

من الصوملة إلى الصيلمة

الناظرُ في التَّحولاتِ الجارية في العقودِ الثلاثة الأخيرة من عمر العنصر الإنساني ووضع العالم الإسلامي ليشهد مدى الحيرة التي تصيب العقلاء والحكماء فيه فضلاً عن غيرهم من الشرائح المجتمعية؛ إزاء التسارع المتحول لبنية وجغرافية وثقافة الأمة بل والأمم المشتركة المتعايشة على ظهر الكوكب.

وهذا يرجع إلى عدة ظروف عند التحليل منها: عدم القدرة الكافية على توصيف الحاصل وبذوره وجذوره، وكذلك ضعف ذاكرتنا كأمّة.

فهذه أحداث الفوضى في الصومال في مطلع تسعينات القرن الماضي ومحاولات تشطيرها وواقع فقرها وتصاعد حمى الغلو فيها كأول المشاهد في البلاد الإسلامية قد امتد بشكلٍ وآخر ليشمل اليوم أفغانستان والعراق ومصر وليبيا والشام واليمن.

(الصَيْلمة): تعبير نبوي ورد في جملة أحاديث[1] حول فتنة تنزل

(١) منها ما ورد في «مسند أحمد»، (٢٠٦٩٦)، عن النبي ﷺ قال:«يكون في هذه=

بالشام، وأن هذه الفتنة أشبه بالمسلسل الذي تظهر الشام في أجلى حلقاته.

والصيلم والصيلمة لها معانٍ تجتمع فيه الظلمة والظلم[١] والهرج والمرج والداهية[٢].

لـو أنَّ فريقاً بحثياً قام يُفكك تسـارع الأحداث من يوم فتنة الصومال.. (الصوملة قولبة للصيلمة) ويمسك بالخيط الرفيع للفتنة النازلة بالأمّة ويقرأ الأحداث قراءة بميزان شرعي معتدل واعي، ما الذي سيخرج به؟

تعودتُ عند المتابعة في فقه التحولات وعلم السَّاعة أن أستخرج بعض معالم المرحلة من عين التوصيات النبويّة بالمواقف اللازم اتخاذها، وأضرب لهذا مثلاً:

لمّا تحدث النبي عليه الصلاة والسلام عن الصَيْلم أوصى بالآتي:

= الأمة خمس فتن، فقد مضت أربع، وبقيت واحدة، وهي الصيلم، وهي فيكم يا أهل الشام..».

(١) كما جاء في كتاب: «الفتن» لنعيم بن حماد، (٦٥٩)، عن ابن مسعود، رضي الله عنه قال: «كل فتنة شوى حتى تكون بالشام، فإذا كانت بالشام فهي الصيلم، وهي الظلمة».

(٢) جاء في تعليقات الـشيخ شعيب الأرناؤوط على «مسند أحمد»، (٩: ١٠٦)، «.. وأصلُ الصَيْلم الداهية».

ـ أنْ لا يتجنّد الإنسان في أحد الفريقين[١].

ـ أنْ يبحث عن مصدرٍ للدخل من الثروة الحيوانية أو النباتية؛ زرعه، أرضه، إبله[٢].

وفي الحلول هذه إشارة إلى مشكلة اقتصادية تترتب على مرحلة الصيلم وحالة اصطفاف واستقطاب عرف في بعض أدبيات علم آخر الزمان بأنه مرحلة «**شق الشعرة**»[٣].

---

(١) عن النبي ﷺ قال: «يكون في هذه الأمة خمس فتن، فقد مضت أربع، وبقيت واحدة، وهي الصيلم، وهي فيكم يا أهل الشام، فإن أدركتها، فإن استطعت أن تكون حجراً فكنه، ولا تكن مع واحد من الفريقين، وإلّا فاتخذ نفقاً في الأرض». «مسند أحمد»، (٢٠٦٩٧).

(٢) قال رسول الله ﷺ: «إنها ستكون فتن: ألا ثم تكون فتنة القاعد فيها خير من الماشي فيها، والماشي فيها خير من الساعي إليها. ألا، فإذا نزلت أو وقعت، فمن كان له إبل فليلحق بإبله، ومن كانت له غنم فليلحق بغنمه، ومن كانت له أرض فليلحق بأرضه»، قال فقال رجل: يا رسول الله أرأيت من لم يكن له إبل ولا غنم ولا أرض؟ قال: «يعمد إلى سيفه فيدق على حده بحجر، ثم لينج إن استطاع النجاء، اللهم هل بلغت؟ اللهم هل بلغت؟ اللهم هل بلغت؟». «صحيح مسلم»، (٢٨٨٧).

(٣) وردت في العديد من الروايات منها: عن كعب، قال: «ليوشكنَّ العراق يُعرَكُ عَرْك الأَديم، ويشق الشام شَقَّ الشعر، وتُفتُّ مصر فَتَّ البعرة، فعندها ينزل الأمر». «الفتن» لنعيم بن حماد، (٥٨٥).

وفي الـوصايا العامة اتجاه الزمن إلى: فَقدْ القرار الناظم للأمَّة، وشيوع الاستهتار بالشُّح المُطاع والهوى المُتـَّبع، فأوصانا ﷺ:

١ـ دع عَنْك أمر العامّة[١]؛ يعني عدم التَّدخل في الشأن العام على جهة المنافسة والتَّحريش والمُغالبة والتَّسييس.

٢ـ اعتزل الفِرق كُلها[٢]؛ لأنَّ التكتُّلات والأحزاب والتأطيرات ستكون من مظاهر الأزمة.

٣ـ عليك بخويصة نفسك[٣]؛ أي العمل في دائرة الأمان والإيمان، ضمن نسق المواقع الحقيقية للتأثير والنفع في الأسرة والمحبين والراغبين.

وهذه الحلول النَّبوية إشارة كذلك لغياب القرار العام، وظهور تكتلات متصارعة ورايات مختلطة.

أليس هذا موقف سلبي!!

هذا ليس من باب السلبية أو الجبن في إبداء الرأي، لكنه من الحكمة بمكان؛ للمساهمة في تأمين المجتمعات، وإيجاد ملامح مشروع عبور آمن من مرحلة الإستنفار إلى مرحلة الإستقرار.

---

(١) في الحديث عن النبي ﷺ «... ودع عنك أمرَ العامَّة». «سنن أبي داود»، (٤٣٤٣)، و«سنن النسائي»، (٩٩٦٢).

(٢) سبق ذكر ذلك في الأحاديث.

(٣) «سنن ابن ماجه»، (٤٠١٤).

أي استقرار؟

الإستقرار العالمي بدلاً من هذه الـفوضى في الديانة والثقافـة والاقتصاد وكل مظاهر التفاعل الإنساني في عمر الزمن.. الإستقرار في كيان الإنسان وعمارة الأوطان..

هي إذن دعوة متجددة: للعمل في الثوابت الـشرعية المصانة، وبسط اليد للتعاون البنّاء المُثمر، وقبض اليد عن الدم والعرض والمال.

ما أحوجنا للسلام الحقيقي والمحبة الإيمانية؛ لأن الدِّين تعبّدنا الله به ليذهب رِجسنا، ويهذّب حِسَّنا.

* * *

بين التحديث (update) والإحداثيات (gps)

أثناء متابعتي في فقه التحولاتِ وجدتُ معلمي سيدي الحبيب أبو بكر المشهور يَميل إلى نوعٍ من القراءة الشرعية للواقع المعاصر بلسان الإشارة المتضمن في الوحيين (الكتاب والسنة).

من ذلك أن المقرر عند الأصوليين من علماء المسلمين أن الزمن لا يدخل في الخطاب؛ فالخطاب الإلهي لا متناهي من حيث الزمن وواسع من حيث المدلول، وصلة المعنى بمصاديقه لدرجة احتمالية التباين في الأفهام من اللفظ الواحد؛ لتعدد مدلولاته من جهة عند الوضع، أو لإمكانية تجدد مصداقه لسعة مصطلح الشرع من جهة أخرى.

والتداول العرفاني للوحيين كتاباً وسنة يقرر أن لكل آية حداً ومطلعاً وظهراً وبطناً[1]،.....

(١) قال رسول الله ﷺ: «أنزل القرآن على سبعة أحرف، لكل آية منها ظهر وبطن». «صحيح ابن حبان»، (٧٥)، وعن عبد الله بن مسعود، بلفظ: «أنزل القرآن على سبعة أحرف، لكل آية منها ظهر وبطن، ولكل حد مطلع». «مسند الإمام أحمد»، (٧: ٢٨٤). =

ولكل آية نزول وتنزل وتنزيل [١]، وقد سبقت الإشارة إلى هذا في كتابي «القراءة بين قيامين»[٢]. كل هذه المقدمة لأقول:

أن **التحديث** يستفاد بالإشارة من الآية: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى: ١١]، وفيه معنى تجدد النعم زماناً، البعض يحملها على التحدث بنعمة الله[٣]، وممكن حملها على التحديث في نعم الله المتجددة لأهل

= وقد فسَّر الإمام الطبري رحمه الله الظهر والبطن بقوله: «فظهره: الظاهر في التلاوة، وبطنه: ما بطن من تأويله».

وفي «البرهان في علوم القرآن»، (٢: ١٥٤)، قال الإمام الزركشي رحمه الله: «.. وللكل وصف ظاهر وباطن وحد ومطلع، فالظاهر: التلاوة، والباطن: الفهم، والحد: إحكام الحلال والحرام، والمطلع: أي الإشراق من الوعد والوعيد».

(١) **نزول (الكتاب المسطور)**: من حيث أسباب النزول وميقات نزول الآيات في عهد الرسالة زماناً ومكاناً بحسب ما هو منقول إلينا في المسانيد والسنن، (مجال النقل).

تنزل (الكتاب المأمور): وهو تجدد انكشاف المعاني في الآيات القرآنية جيلاً بعد جيل وزمناً بعد زمن وطوراً بعد طور، (مجال العقل).

تنزيل (الكتاب المنظور): وهو مطابقة السورة القرآنية للصورة الوجودية، أو قل هو وقوع الآية في واقع الحياة التعايشي كما حصل مع الصَّحب الأوائل إذ قالوا: قرأنا ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ [القمر: ٤٥] في مكة وعرفنا تفسيرها، وما عرفنا تأويلها إلا يوم بدر أي وقوعها، (مجال الحقل).

انظر: «تفسير الطبري»، (٢٢: ٦٠٢)، و«تفسير ابن كثير»، (٧: ٤٤٦).

(٢) انظر: ص ٣٦ وما بعدها.

(٣) انظر: «تفسير الطبري»، (٢٤: ٤٨٩).

كل زمن وعصر ومرحلة، فحدّث هنا بمعنى جدَّد أولاً بأول، وطوَّر أولاً بأول.

و**الإحداثيات** تستفاد بالإشارة من الآية: ﴿**يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا**﴾ [الزلزلة: ٤]، وفيه المعنى الإحداثي مكاناً، وهو ما شُغل به أهل العصر، وأسعفتهم فيه التكنولوجيا الحديثة؛ فالأرض لها الإحداثيات التي تضبط جغرافيا المكان.

❊ ❊ ❊

الغُربة[١]

غربة الإسلام في الواقع المعاصر

للغربة معاني ودرجات، قال ﷺ: «بدأ الإسلام غريباً وسيعود كما بدأ غريباً فطوبى للغرباء»[٢]، بدأ غريباً في التصورات التي يطرحها، وغريباً في الأحكام وفي بيانات الحق فيه، فمن الغربة قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ۝ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا﴾ [المعارج: ٦ -٧]، إن لأهل النظرات الإبليسية والشيطانية والمنحرفة مزاج ومقاس ومسافة في الرؤية مختلفة عن رؤية أهل الحق، وهذا على مستوى النظر، قال تعالى: ﴿وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ١٩٨]، رأوك يتيم أبو طالب أو ابن أبي كبشة ولم يروا فيك تجليات الحق، هم رأوا القالب البشري ولم يروا الخصوصية.

---

(١) أصلُ هذه المادة مفرغة من مجالس شرح كتاب: «معالم الدعوة المحمدية شرح الأربعون الدعوية»، للشيخ عون القدومي، في مجلس المحبة بمعهد المعارج/ الرصيفة، ١٤٤٠ هـ، ٢٠١٨م.

(٢) «صحيح مسلم»، (٢٣٢) (١٤٥).

فالغربة لها امتدادات ومعاني، هذه الغربة الأولى للإسلام التي لم يكن يأمَن الواحد فيها جليسه، وكان يتأذَّى بسبب موقفه في إعلانه للعبودية لله، أحداث متنوعة ومتعددة حصلت مع الصحابة ولها موعد في الأمة يتجدَّد من جديد، كان عدد أولئك النفر في البداية ستة وخمسين رجلاً وكان هناك مجموعة من النِّساء عددهن أربعين، فالمجموع مئة شخص هم أول من أسلم على وجه الأرض في أول خمس سنوات من الدعوة المحمدية، واليوم مليار ونصف مسلم يرجع الفضل في إسلامهم لهؤلاء الـمئة، كان هؤلاء الـمئة غرباء في ذلك الوقت بكل المعاني والمقاييس.

ومن مظاهر غربتهم قصَّة مكوثهم في دار الأرقم التي لم يصلنا من داخلها أي رواية، فماذا كان يعلمهم النَّبي ﷺ وعن ماذا كان يحدِّثهم؟ لا نعلم، فلم تصلنا روايات إطلاقاً من داخلها بل كلّها روايات من باب دار الأرقم، وهذا من الغربة، قال الرَّسول ﷺ لعَدي: «أما إني أعلم ما الذي يمنعك من الإسلام، تقول: إنما اتبعه ضعفة الناس، ومن لا قوة له، وقد رمتهم العرب. أتعرف الحيرة؟ قلت: لم أرها، وقد سمعت بها. قال: فوالذي نفسي بيده، ليتمنَّ الله هذا الأمر، حتى تخرج الظعينة من الحيرة، حتى تطوف بالبيت في غير جوار أحد، وليفتحن كنوز كسرى بن هرمز، قال: قلت: كسرى بن هرمز؟ قال: نعم، كسرى بن هرمز، وليبذلن

المال حتى لا يقبله أحد، قال عدي بن حاتم: فهذه الظعينة تخرج من الحيرة، فتطوف بالبيت في غير جوار، ولقد كنت فيمن فتح كنوز كسرى بن هرمز، والذي نفسي بيده لتكونن الثالثة، لأن رسول الله ﷺ قد قالها»[١]، وقال لخبَّاب حينما سأله أن يستنصر لهم: «كان الرجل فيمن قبلكم يحفر له في الأرض، فيجعل فيه، فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيشق باثنتين، وما يصده ذلك عن دينه، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم أو عصب، وما يصده ذلك عن دينه، والله ليتمنَّ هذا الأمر، حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت، لا يخاف إلا الله، أو الذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون»[٢] الإنسان بطبيعته عجول ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ﴾ [الأنبياء: ٣٧]، لكن لله حُكم في الأشياء وله تدبير في تدريج الأمور، هو حكم التَّكوين الرباني في الأشياء.

الإسلام بدأ غريباً في جميع الأطروحات والأفكار والقضايا والمسائل وسيعود غريباً، سيأتي مرحلة على العالم يعيش فيه الإسلام هذه الغربة ويصبح الطَّرح أو المفهوم الإسلامي للقضايا والعناوين والمواضيع أمراً محيِّراً.

هذا الحديث من الممكن أن نشتق منه في فقه التحولات الكثير

---

(١) «مسند أحمد»، (١٨٢٦٠).

(٢) «صحيح البخاري»، (٣٦١٢).

من القضايا والمفاهيم، وأن كيف سيكون مُدرَكنا في وقت الغربة؟ وما التدبير الإسلامي للنَّاس في وقت الغربة؟

في كتاب: «غياث الأمم في التياث الظلم»[١] للإمام الجويني افترض فيه أن لو خلا العالم عن التدبير بمعنى: أنه لم يوجد من يدبر أمور المسلمين وأمور الدِّين فكيف يكون الواقع الإسلامي في ذلك الوقت؟ وبنى نظره في السياسة الشرعية على هذه الأطروحة، وهذا نظر متقدم واستشرافي، ودراسة مستقبلية وعلم استباقي في لغة اليوم، كيف يَفترض المشكلة ويوجد الحلول.

نرى اليوم أن ٧٠٪ تقريباً أو أكثر من نصوص السِّياسة الشرعية معطَّلة في واقع الحياة، اليوم لا يوجد دولة قائمة على هوية الإسلام، فالدول قائمة على أساس المواطنة، وتحتكم في ذلك إلى منظمة الأمم المتحدة بمفهوم ترتبط به الدول، فمن يقول لك اليوم: (سأقيم دولة إسلامية) هو واحد من اثنين: إما كاذب أو مغفَّل، لا يدري ما يقول. فلا يمكن اليوم في منظومة العالم المعاصر قيام دولة إسلامية، هذه فكرة مستحيلة في الرؤية التي يتكلَّم عنها أصحابها، ليس هناك اليوم دولة على وجه الأرض هُويتها ومرجعيتها الإسلام، اليوم المرجعية هو المجتمع الدولي، فإن تقبل بشروطه فأنت دولة ذات سيادة وإلَّا فستعلن عليك

(١) انظر: ص ٢٦٨ وما بعدها.

العقوبات ولن يقع فيك اعتراف ولن يكن لديك ممثلين دبلوماسيين ولن تستقبل سفراء وعملتك ستحاصر وإقليمك في دول الجوار سيقع عليه استنزاف جغرافي، إذن أنت لست موجوداً، وبحسب هذا الواقع فلا يمكن قيام دولة إسلامية حسب تصور من يدّعي ذلك؛ لأن التصور بهذه الطريقة مغلوط، فنحن نحتاج أن نفكر ونتأمل، وقد تناولت هذا في رسالة اسمها: «الوعد المنصوص والبنيان المرصوص»[1]، واقترحنا في هذه الرسالة ما دام الواقع كذلك أننا بحاجة إلى فقه طوارئ نبنيه على العلامة والموقف لا على النص والحكم، واقترحنا البديل المرحلي للنصوص وهي العلامات والمواقف، وأضرب مثلاً لذلك بما حصل في أزمة الشام إذ صار الناس يتساءلون في بادئ الأمر: هل يجوز الخروج على الحاكم؟ وجاء في ذلك ثلاثة مذاهب: لا يجوز إلا عند رؤية الكفر البواح، أو عند الفسق، وبعضهم استدعى قول الزيدية أنه يجوز عند الظلم، فقلنا لإخواننا: إن بناء هذه المسألة بهذا الشكل خطأ، لأنك افترضت بذلك أن القرار موجود على أساس سليم، ولكن القرار اليوم موجود أصلا على أساس غير سليم، فلا يوجد اليوم في العالم من يقول لك: أنا ولي أمر المسلمين، بل يقولون: نحن نلي أمر المواطنين؛ لأن الدول قائمة على أساس المواطنة، فاستدعاء هذا النص في هذا

(١) موجود في المقالات اللاحقة.

الوقت خطأ لأنه معطل حالياً، نحن بحاجة إلى فقه طوارئ، ولكي نبني حلاً صحيحاً لا بد لنا من أن نصف الأمر وصفا صحيحاً، قد دخلنا بمغالطات وقد هدرنا جزءاً كبيراً من نقاشاتنا بلا فائدة، فالقضية ليست قضية كفر أوفسق أو ظلم.

القضية الثانية: هل أسلوب الحكم في الزمن المعاصر مرتبط بشخص أو منظومة؟ من يعتقد أنه مرتبط بشخص فلا زال يعيش علة ما يسمّى بالربيع العربي الذي يتصور أصحابه أنه وبمجرَّد تغيير شخص ستتغيَّر المنظومة، هذا خطأ، اليوم العالم تحكمه منظومات، والمجتمع الدولي له شروطه في ذلك، فيقول لك: لا بد أن تكون لديك عملة وإقليم بحري وعَلم وإقليم بري وغير ذلك، العالم اليوم له نظام واحد في الجوازات، ويتم الدخول والخروج منه بطريقة واحدة ومطارات واحدة، فالعالم داخل التغطية، فإن كان الواقع كذلك فيجب علينا أن نفكر بطريقة تناسب العالم اليوم، حتى التقسيم بدار الإسلام ودار الحرب هو تقسيم توصيفي وليس توقيفي، فالأمر متداخل، نحن اليوم نحتاج أن نراجع الكثير من نصوص السياسة الشرعية لنرى كيف انبنت أصلاً وعلى أي قاعدة وأساس، وما هي تفاصيله وما هي مواضيعه، هذا جزء من الغربة التي نعيشها اليوم في واقعنا، وهذا كله في عالم الحُكم، فإذا تناولنا موضوع المشاعر والهوية، مثلاً نتساءل كيف نجح الشيطان اليوم أن يعرِّي نساءنا وأن يطعمنا الحرام؟

وكم أخذ هذا من السنوات؟ هل تمَّ في سنة واحدة وهل أخذ برمجة واحدة؟ وكم استغرق هذا حتى دخل ديارنا وأوصلنا إلى هذا الشكل مما أضعف هويتنا وقضيتنا! هذا كله يندرج في مفهوم الغربة.

حينما تكلم النبي ﷺ عن الغربة والغرباء قال: «فطوبى للغرباء»، سألوه من هم الغرباء وفي هذا جاءت روايات متعددة منها ما جاء في بعض الروايات قوله ﷺ: «الذين يَصلحون إذا فسد الناس»[١]، فأول علامة للغريب صلاحه، فإذا أكل الناس الحرام هو يأكل الحلال فلا يدخل في احتكار ولا ربا ولا غش ولا رشوة، رجل متشبث بالحلال، وإذا ضيع الناس أولادهم هو يربي أولاده، وإذا أضاعوا ذممهم هو يحفظ ذمته، وفي رواية: «الذين يُصلحون إذا فسد الناس»[٢]، لا يكتفي أن يكون صالحاً في ذاته وإنما يحاول إصلاح مَن حوله من أولاده أو أقاربه ومن يخصُّه ويحاول أن ينفع شعبه ومجتمعه، وفي رواية: «أناس صالحون، في أناس سوء كثير، من يعصيهم أكثر ممن يطيعهم»[٣]، وفي رواية: «الذين يحيون سنتي ويعلمونها عباد الله»[٤]، وفي رواية:

---

(١) «معجم الطبراني»، (٣٠٥٦).

(٢) «مسند أحمد»، (١٦٦٩٠).

(٣) «مسند أحمد»، (٦٦٥٠).

(٤) «مسند الشهاب القضاعي»، (١٠٥٢).

«قال: نوازع الناس»[١]، وفي رواية: «قال: النزاع من القبائل»[٢]، وفي رواية: «الذين يفرّون بدينهم، يجتمعون إلى عيسى ابن مريم صلوات الله عليه»[٣].

وقد تكلم النَّبي ﷺ عن الانحدارات الوضعية التي تأتي عبر السنين، فما من زمان يأتي إلا وبعده شر منه[٤]، مع بقاء حد من التنفُّس في الخيرية ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، هذه الخيرية الباقية نتحسَّسها في مشروع الإصلاح، لكن ما هو مشروع الإصلاح بحسب المنهج النبوي؟ هو إحياء السُّنة، وإحياء السُّنة سبب لإصلاح المجتمعات إذا وسَّعنا النظر في السُّنة، بعض الناس يتناول فقط السنن الفردية من اللِّحية والسِّواك وغيرها، أو سنن العبادات، لكن السنن النبوية تشمل الشعوب والثقافات والاجتماع والشعر والمواقف والمناسبات

---

(١) «شرح مشكل الآثار»، للطحاوي، (٦٨٨).

(٢) «سنن ابن ماجه»، (٣٩٨٩)، (النزاع من القبائل): جمع نازع ونزيع، وهو الغريب الذي نزع عن أهله وعشيرته. أي بعد وغاب. وقيل: لأنه ينزع إلى وطنه: أي ينجذب ويميل. والمراد الأول. أي طوبى للمهاجرين الذين هجروا أوطانهم في الله تعالى. «النهاية في غريب الحديث»، لابن الأثير، (٥: ٤١).

(٣) «الزهد والرقائق»، لابن المبارك، (١٥١٣).

(٤) جاء في الحديث قول رسول الله ﷺ: «اصبروا، فإنه لا يأتي عليكم زمان إلا الذي بعده شر منه، حتى تلقوا ربكم». «صحيح البخاري»، (٧٠٦٨).

وغيره من مناحي الحياة، فمن يستجلي للعالم اليوم السُّنن النبوية في قيام الشعوب وانتهاض الحضارات؟ هذا الدور الذي لا بد أن نحمله للعالم، نحن ندعو إلى تأمين المجتمعات عبر فهم صحيح ووعي حقيقي ومُدرك طيب ونفس متَّزنة وقلب سليم.

❊ ❊ ❊

استعمار المُستقبل

الحمد لله وصلَّى الله وسلَّم وبارك على سيِّدنا ومولانا رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين.

(استعمار المستقبل) هو عنوان هذه الورقة التي أُقدِّمها في هذا المؤتمر بعنوان: (دور الإعلام الهادف في تثقيف المجتمع وتوعيته)[١]، وتأتي هذه الورقة في سِياق الكلام عن حركة الإعلام وأثرُه وخطرُه، ووسائل التَّواصل الإجتماعي في مجتمعاتنا وأهميَّة تحصين الأُمَّة من سلبيَّاتها والاستفادة من الوسائل الإعلاميَّة وقنوات التَّواصل الاجتماعي في بثِّ روح الإيجابية وإيجاد صيغة عيشٍ مشترك في مجتمعاتنا المعاصرة.

---

(١) عُقد المؤتمر بدعوة من وزاة الدفاع في أندونيسيا مع جمعية أهل الطريقة النهضية المعتبرة، في مدينة بيكالونجان، في الفترة الواقعة بين ٢٧- ٢٩/ ٢٠١٦م، وحضرها (١٥٠٠) عالم من الداخل الاندونيسي، و(٥٨) عالم من مختلف بلدان العالم حول مفهوم: (الأمن من منظور شرعي) تركّز كلام العلماء فيه على: الأمن التعليمي، الأمن الاقتصادي، الأمن الإعلامي.

موقع الإعلام في الحالة الرَّاهنة:

تُعد الآلة الإعلاميَّة من أكثر الآليَّات والأدوات التي تُساهم ـ لا أقول في إعادة تَشكيل الوعي الجَمعي أو إعادة إنتاج خِطاب موجَّه معيَّن وإنمَّا تُساهم كذلك ـ في صِناعة رأي عام يمتدُّ من حركة الوَعي الجَمعي إلى ما يتعلَّق بضمير المجتمع أو فلنقل: المحاكاة الشعوريَّة للقلب الذي يتحمَّل المعاني من وراء الإدراكات والتي ترتبط بمحبوبات الإنسان عبر سلسلة طويلة ومركَّزة من القنوات المرئيَّة والسمعيَّة وما يتعلَّق بحركة الإنتاج ومطابخ العمل الإعلامي عبر محرِّكات البحث وشركات الإنتاج، ومن يساهم في تشكيل هذه المعطيات التي تتبلور في صورة معارف وثقافات ربمَّا تجعلنا نتجاوز الشَّكل المحليِّ إلى حالة لا أقول العالميَّة؛ لأنَّ العالميَّة تعبير فيه نوع من الإيجابيَّة لكن أقول كعولمة؛ لأنَّ العولمة تحاول أن تدمج عقول وقلوب العالم ضِمن إطار تطبيعي معيَّن لنمط ولفكر يتجاوز الصِّيغ الشَّرعيَّة التي تتناول الوقائع الاجتماعيَّة إلى حالات من التفكُّك بين النِّسب وارتباطاتها، وهذا يستدعي حالة من الارتجال أمام الأنساق المحليَّة والثَّقافات الخصوصيَّة التي سادت في القرون والعقود الماضية.

ساهمت هذه العولمة في إعلامها في قتل عددٍ من اللُّغات المحليَّة والمحكيَّة واندثار فلكلور وثقافات، والأصعب هو تحوُّل النَّسق العالمي

من حالة الاستقرار إلى الفوضى، ومن السِّلم إلى الحرب وشيوع أخلاقيات مدمِّرة عبر مفهوم الاحتكار والشُّح وإشاعة الجريمة، كل هذا يساهم الإعلام بشكلٍ فاعلٍ في صياغته.

النُّصوص النَّبويَّة التي تُفيدنا في قِراءة واقع المرحلة:

وأمام حركة الإعلام المتسارعة نجد في صياغتنا الدِّينية والشَّرعيَّة أن ثَمَّة نصوص يعبِّر عنها في (فقه التحولات وعلم السَّاعة) أنَّها تحمل قراءات تتجاوز الحاضر، فإذا جئنا نقسِّم القراءة في فقه التحوُّلات إلى نصوص سنجد أنَّ النُّصوص على ثلاثة أنواع:

١. نصوص استدلاليَّة.

٢. نصوص استباقيَّة.

٣. نصوص استقرائيَّة.

نعتقد أن (النُّصوص الاستدلاليَّة) هي التي جائت في مرحلة النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وكانت في الثلاث وعشرين سنة من دعوته، وهي محل الدِّراسة والبحث والقراءة والمطالعة، أمَّا (النُّصوص الاستباقيَّة) فهي جُملة الآيات القرآنيَّة والأحاديث التي تسبق الحوادث الواقعة، أي أنَّ ما يتعلَّق بالزَّمن من بعد مرحلة النُّبوة، ونتكلَّم كمسلمين جئنا بحلٍ أخير لهذا العالم، يرتبط عندنا الإسلام بالسَّلام والمحبَّة

بالإيمان واستأمننا الله سبحانه وتعالى على عمارة الأرض وبثّ هذه الرُّوح في العالـم لاستنقاذه من حالة الفوضى والـضِّيق والجريمة والتردِّي الأخلاقي، ثمَّ هنالك (النُّصوص استقرائية) وهي التي تتكلَّم عن المراحل السَّابقة لدراسة عهود النبوَّات وحركة الشَّر في العالم وما يتعلَّق بالمدافعة بين مدارس الأنبياء في مظهر الخير، وعمل الشَّيطان والدَّجال في بُعد الشَّر.

ميزة النُّصوص الاستباقيَّة أنَّها تتقدم على الحادثة من حيث الإظهار والوقوع من جهة، ومن جهة أخرى أنَّها أقرب إلى علم الإحاطة الربانيَّة ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦]، وكذلك التَّقدير وارتباطات العلامات فيها بمواقف شرعيَّة يثاب فاعلها وينجو في الدارين.

إذن نحن أمام نصوص تُعالج أمر المستقبل المتَّصل بالوقائع المستجدَّة والمسالك الحادثة في أمَّة النَّبي ﷺ وما يرتبط بعلاقتها في الأُمم الأخرى، ولذلك في حديث النَّبي ﷺ: «قد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك»[1].

ما الذي نعيشه في عالمنا اليوم؟

إذا أردتُ أن أوصِّف الأمر إلى أقرب ما يكون فأقول أنَّ النَّبي ﷺ

(١) «سنن ابن ماجه»، (٤٣).

يقول: إن بين يدي الدَّجال دجاجلة[١]، إذا تجاوزنا القراءة النصيَّة المباشرة لهذا، كلمة الدَّجل تعني التَّغطية وتعني التَّمويه وقلب الحقائق، نحن نتكلَّم عن مادة فكريَّة مُعدَّة لتطبيع العالم على نمذجة معيَّنة، بمعنى آخر: هذا الدَّجل الذي يُعد الإعلام اليوم أبرز قنواته يساهم في ثلاثة مسائل هي من الخطورة بمكان.

المسألة الأولى: تسييس الدِّين؛ أي: تحويل نصوص الدِّين وأمر الوحي المقدّس على حالة من الإرضاخ لتنفيذ سياسات مرحليَّة جزئيَّة معيَّنة تفيد جِهة أو مصلحة طارئة لمجموعة من النَّاس بغضِّ النَّظر أكانوا في صفِّ المعارضة أو في صفِّ السُّلطة في مرحلة من المراحل.

المسألة الثانية: العلمَنة؛ وهي هنا تعني إضعاف منهج الدِّين كليَّاً بحيث تضعف المناهج الرَّوحانية والنَّورانية وتبدأ إبراز مدارس عقلانيَّة أمام الغيبيَّات ومدارس ماديَّة أمام الرَّوحانيات.

المسألة الثَّالثة: العولمة؛ أي: تطبيع العالم ليخدم المصالح الاستثمارية لطُغمة أو مجموعة من النَّاس.

---

(١) قال رسول الله ﷺ: «لا تقوم السَّاعة حتى يخرج ثلاثون كذاباً دجالًا، كلهم يكذب على الله، وعلى رسوله»، «سنن ابن ماجه»، (٤٣٣٤). وفي رواية «مسند أحمد»، (٢٠١٧٨): «وإنَّه والله لا تقوم السَّاعة حتى يخرج ثلاثون كذاباً آخرهم الأعور الدَّجال، ممسوح العين اليسرى».

هذا كلّه يجعل أن مشكلة المشاكل التي نعاني منها هي غياب الصِّيغ الشَّرعيَّة في الواقع الاجتماعي وكثرة الانحرافات العلميَّة والعقديَّة وتراكمها داخل خيمة الإسلام بحيث يتجاوز النَّاس مع اختلاط الأوراق وحالة الخداع التي يعيشونها يصبحون يبحثون بحماس وابتهاج لأي حل يتجاوز مسألة الدِّين الرَّحمة، الدِّين المتين الواسع الذي يحرِّر إرادة الإنسان ويبني المجتمعات ويؤمِّنها.

إذن نحن أمام طوفان تمهِّد له هذه المرئيَّات والشَّاشات والقنوات التي تُضخ فيها من الأموال المليارات، ولا غرابة إن عرفنا أنَّ عدد من حركات التطرُّف وميليشيات الانفصال ساهمت في تشكيل وعي مجموعاتها عبر قنوات التَّواصل الاجتماعي بالفيديوهات والصُّور والرَّسائل والمقاطع.

فإذا كنا نريد أن نتكلَّم في هذا المؤتمر عن إشاعة الأمن وتثبيت الإيمان، وأنَّ إشاعة الأمن تساهم في زيادة الإيمان، وأنَّ تحريك الإيمان في المجتمعات يساهم في ترسيخ الأمن، هذه العلاقة التبادليَّة بين الأمن والإيمان أو إذا شئنا أن نتكلَّم عن صياغة الوعي المشترك وقوانين السِّلم المجتمعي، أو جئنا نتكلَّم عن إحياء القواسم المشتركة بين الأُمَم والشُّعوب سنجد الإعلام حاضر في مسألتنا هذه، وبالتَّالي فلا بدَّ لنا أن نفكِّر في معالم صياغة خطاب منتج نافع هادف يناسب حالة الفوضى التي نعيشها والتي يعيشها عالمنا اليوم.

ما هي معالم هذا الخطاب؟ وكيف لنا أن نجدِّد في الوسائل وكيف نستفيد من حركة الإعلام المعاصر؟

هذا ما نحتاج أن نتدارسه ونتقاسمه كمسؤولية مهمة بين كافة الجهات والأطياف والشرائح.

❊ ❊ ❊

القول الميسور في مناصحة ولاة الأمور[١]

﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا﴾ [الإسراء: ٢٨].

الحمد لله الواهب والصَّلاة والسَّلام على رفيع المراتب وجامع المواهب سيدنا ومولانا رسول الله وعلى آله وبارك، وبعد؛

من العلوم التي اعتنى العلماء بضَبطِ آفاق الشأن التدبيري العام من خلالها ماعُرِفَ في كُتب السَّلف باسم (السياسة الشرعية)، ومع حركة الأفكار في العالم اليوم يلحظ المتابع قصور آلة أصحاب هذا الفقه ـ مع جلالة قدرهم وعظيم منزلتهم ـ من جهتين:

الأولى: في التَّوصيف للنوازل المستجدة، والثاني: في التعريف ببيان المواقف المطلوبة، ولعل هذا راجع إلى أسباب منها:

١ـ أنَّ العالم ليس بساكنٍ وإنَّما هو متحركٌ بأفكارٍ ومعلوماتٍ

---

(١) وردت هذه الرسالة على الخاطر أثناء الرحلة في الطائرة بين عمَّان وتونس شتاء ٢٠١٥م.

واتصالاتٍ ومواصلات، وهذا أدخَلَنا فيما عُرِفَ اليوم بـ(القرية الكونية) أو (القرية العَولمية)، وهو أنَّ العالم قرية واحدة.

هذا المفهوم وآثارُه في عالمنا اليوم أدَّى إلى انهيار منظومات ومصفوفات ولغات وأبجديات، وتجاوز ذلك إلى نَحرِها في محاولة مستعجلة للزَّجِّ بالثقافات والهُويَّات ضمن هُوِيةٍ عالميةٍ واحدة، وهذه الهُوية العالمية الواحدة هي أقربُ إلى العولمية منها إلى العالمية، تمارس تغوُّلاً وحشياً في صورةٍ ناعمةٍ وردية مما أسهم في تفكيك النِّسب التي تحكُمُ علائقَ الصِّلات في منظومة المجتمع الواحد.

٢ـ المرحلة التي تعيشها أمّتنا من جهة والعالم الإنساني من جهة أخرى هي أقرب ما تكون إلى الغثائية[١]، بمعنى أنها لا تمتلكُ وصفاً منضبطاً لفعالية قرار من داخل الأمة، سواء في صورة الخلافة الراشدة، أو المُلكِ العَضوض، أو المُلكِ الجبري، أو في أي صورةٍ كان قرار الأمة منها وفي سقفها، وبالتالي فإن مرحلة الغثاء وعصر الغثائية لا يمتلك الحصانة التي تحفظ قيام الأمة بمهمَّتها ولو في الحد الأدنى، وإنما أدَّى غياب القرار وانفراط العقد الناظم للقرار في الأمة إلى حالة من صِبغة جديدة داهمت الشكل الهيكلي لشكل الشعوب المسلمة المرتبطة بدين

(١) الغثائية: من التوصيف النبوي في الحديث الشريف: «... ولكنكم غثاء كغثاء السيل»، «سنن أبي داود»، (٤٢٩٧).

الإسلام، وعلائق ارتباط في مفهوم الدولة الوطنية المرتبطة بمشروع التحديث في العالم، مما أدى إلى غياب الهُوية الشرعية لبيت القرار، وبالتالي فإنَّ النّصوص النَّبوية الواردة في شأنِ تنظيم العلاقةِ وتأطيرِها بين الحاكمِ والمحكومِ من جهة، وبين صِيَغِ التَّعاقُدِ النَّاظم لكينونةِ الأمَّة وقرارِها من جهةٍ أخرى أقرب ما تكون إلى التعطيل في مرحلة الغثاء.

٣ـ أغلب الأطروحات الفقهيَّة التي ارتبطت معَ قيامِ الحركات التسييسيَّة المختلفة والأقرب منها للعمل الديني ساهمت في انزياحٍ معرفي عن مسلكِ العلم المُسند إلى فضاءاتِ الفِكر والثقافة وكذلك استنساخ نماذج غيرَ أصيلة في مُمارستِها السِّياسية وعكسِها على منظومةِ الفِقهِ الشَّرعي السَّياسي في مفاهيم وُلِّدت عَبرَ مرحلةٍ من الغيابِ والانزياح للحُضور الديني الفاعِل.

وأضرب لهـذا مثلاً في مفهومَي: (الديمقراطية) و(الشورى) والجدل الدائر عَبرَ العقودِ الأخيرة في العلاقات بينهما على مستوى الحُجِّية والمرجعية والمنهجيَّة والكيفية والآليَّة، وغدَت ثَمَّة توليفات ترقيعية ومعالجات سطحية في توليدِ مُصطَلَحَيْ (الشورقراطية) أو تحرير معالم الشورى في السِّياسة الشرعية على تطبيقات الديمقراطية في المرحلةِ العَولميَّة مما أدخَل عدداً من الكُتلِ والكِيانات في أفُقِ الديمقراطية كحلٍّ ومرجع وفِكر ومُمارسة أدَّى إلى الصَّيرورة في مسار هذه الكُتل إلى حالةٍ أشبَهَ ما تكونُ بالذَّرائعية المصالحية.

٤ـ الُمتابع لنشأةِ فقهِ السِّياسة الشَّرعية والمؤلَّفات التي ظَهَرت فيهِ عبرَ قرونٍ ممتدَّة في حياةِ الأمَّة يَلحظُ حالة من التَّشابك الوَصفي لِهيكلة إطارِ القرار في بيت الأمَّة التراكميَّة الممتدة عَبرَ تجاربٍ مُتعدِّدة استفادت من حركةِ الواقع المتجددة واتساع رقعة الحكم في الأمة في أحيان وانحساره في أحيانٍ أخرى، وتقلّب الوقت أحياناً في الدُوَيلات المُتمزِّقة والمشاريع الـمتعددة مما وضَعَنا أمامَ أنماطٍ متعددة من أطروحاتٍ وتعديلات حتى غَدَت هذه المسألة عُنوانَ خِلافٍ كبير بين مدرسَتَي (السُّنة) و(الشيعة) في دائرةِ أهل الإسلام.

وهنا تجدر الإشارة إلى ملاحظة تنبَّه لها د. فريد الأنصاري في كتابه: «البيان الدَّعوي وظاهرة التَّضخم السياسي»[1] يقول فيها: «لم يتفق الفقهاء المسلمون على شيء في المسألة السياسية عدا حكم وجوب تنصيب الخليفة الثابت عندهم بالإجماع، واختلفوا فيما دون ذلك اختلافاً شديداً لما للموضوع من طبيعة اجتهادية لا نصَّ فيها من ناحية، ولما للمسألة السياسية من حساسية عصبية من ناحية أخرى.

كيف تتم بيعة الإمام؟ بعد إجماعهم على حكم الوجوب هل يكفي الواحد والثلاثة أم لا بدَّ من إجماع؟

ثم كيف يتم التعيين والاختيار؟ بالشورى أم بالعهد؟ والشورى

(١) ص١٣٠.

هل هي شورى الأمّة بأكملها أم شورى أهل الحلّ والعقد فقط؟

ثم الشورى بعد ذلك سواء بهذا الشكل أو ذاك هل يكفي فيها التغليب (غلبة الأصوات) أم لا بدَّ من إجماع فيها أيضاً؟

وإذا تعيّن السلطان وتمّت له البيعة هل يكون حكمه فردياً أم لا بدَّ من شورى حكومية وشعبية؟

وإذا كانت هناك شورى من هذا النَّوع أتكون مُلزمة أم معلمة؟».. إلخ.

ولما دخَلَت الأمَّة بشعوبها وجُغرافيَّتها في مرحلةِ الغُثاء وأصبَحَ هناك توسُّعٍ عَولمي جَعلَ عُقولَ أرباب هذه الأمة وحكماءِها تَحار في التَّوصيف على نحوٍ متتابعٍ في الأسئلة:

هل نظامُ الحُكمِ في الإسلام ثيوقراطي أم ديمقراطي؟ وبالتالي مفهوم الدولة في التصور الإسلامي هل هي دولة دينية أم مدنية؟

هل قادةِ الدُّول الإسلامية اليوم هُم خلفاء وولاة أمور أم حكّام متغلِّبين ومتجبِّرين؟

كيف تتناولون مفهوم الديمقراطية كقيمة وكفلسفة وكإجرائيات متخذة وتدابير متّبعة؟

ما علاقة الدين بالسياسة؟

بعد انفراط العقد الناظم للأمة الإسلامية في بيت القرار، ما هي الأحكام السياسية الشرعية المتعلقة بالعمل الحركي الإسلامي من حيث مفهوم الحزبية وشرعيته؟ وما مرتبة هذه التدابير الحركية في سلّم الأحكام الشرعية؟

هل للأفراد المسلمين في هذه البِقاع الخروج على هؤلاء الحكّام في حالة الكفر البَواحِ فحَسب؟ أم عند حالة الفسق؟ أم مطلق الظلم؟

كيف يكون تقييم علاقات رأس المال من جهة والأقليات والهويات من جهة داخل نسق جغرافي مغلق باعتبار الدولة الحديثة؟ ومع انتشار شكل سيدة المجتمع الدولي واتفاقيات دول الجوار، وترسيخ أعراف تداول السلطة والقانون الدولي، كيف نقيم اعتبارات المواطنة؟ وبالتالي التسوية بين المواطنين لا على أصل ديني أو هوياتي وإنما بحكم التعايش في جغرافيا واحدة ومناخ مشترك؟

كيف نميِّز بين دارِ الإسلام ودارِ الحرب اليوم؟

ما الفارق بين الدولة المسلمة والدولة الكافرة؟ وعلى أي معيار يمكن تقسيم جغرافية العالم باعتبار السياسة الشرعية؟ وإلى أي مدى ساهمت الحداثة في تفكيك النسب والروابط ونقضها على قيام الأنساق المغلقة في عالم مفتوح؟

وغير ذلك من الأسئلة المتعددة والمتنوعة، والتي أجِد أنَّ من غيرِ المُناسب التعاطي معَها بهذا الشكل للأسباب التي ذَكَرتُ بعضَهَا آنِفاً واستدعاء حالةٍ مِن الخُصوصية في واقع عصرِ الغُثاءِ ومراحِلِه المُتتابِعة.

ومن هنا نلحظ أن لدينا مشكلة مركبة من ثلاث جهات:

١ـ تأخر في هضم تراثنا في السياسة الشرعية.

٢ـ تأخر في توصيفنا للواقع على واقعيته ووقوعه.

٣ـ تأخر في تنظيرنا للمستقبل.

وبالتالي تأتي الاجتهادات والإجابات هنا مرتجلة مستعجلة تعالج وجهاً وتضيع وجوهاً أُخر، وتحفظ حالة وتضيع حالات.

هنالكَ بَعض العلوم التي تَحمِلُ في طيَّاتِها آلياتٍ تارة وأدواتٍ تارةً أُخرى تخدِمُ من خِلالِها المضامينَ الأساسية والمُحتوى الكُلِّي لهذا العِلم المقصود مِنهُ غاياتٍ معيَّنة، ويؤدي إلى مجالاتٍ في العِرفانِ الإلهي والعلمِ الرباني وما تقَعُ به الخلافة عن الله في العِمران.

وأحياناً تقع لبعض العلوم مسائل بحكم التوصيف وبعضها برسم التعريف، ومنها أصل كبير تأخذ حق التوقيف بمعنى أنها بمنزلة النَّص الجامع المنبثق عن الوحي المصون.

وشكل العالم الحالي بسُيـولتِهِ المعلوماتيَّة وفعالياتِهِ المتنوِّعة

وحالةِ الغُثاءِ هذه يَفرِضُ نمطاً جديداً من التأصيلِ لهذهِ الحالةِ الطَّارئة على مسيرة الأمَّة، لا يقعُ معها التمسُّك بالنّصوصِ الواردةِ عن الأُمة في حال صحَّتها ونهضتِها، أو لكلِّ المعاني الشرعية التي تَصِف موقعاً في القرار أو موقفاً في مسيرةِ الأمَّة بمقتضاه حتى لا يقع القصور في حركة الأمة اليوم ووعيها بالكيفيَّات النَّاظِمة لتعاطيها معَ الشؤون المختلفة من المسائل المتعلقة بفِقهِ السِّياسة الشَّرعية؛ لأن هذا سيؤدي إلى شكلينِ أو ممارستين تُحدِثانِ نوعاً من الإرباك المعرفي:

الممارسة الأولى: مسلك المتمسِّكين بالنّصـوص الواردة في الوحي بتسمية بيت القرار بالخلافة، والذي له الحق المباشر في هذا هو ولي الأمر والشورى في حقه مُعْلِمَه، وجهاز التَّشريع هو أهل الحل والعقد ولا يجوز الخروج على هذا الإمام.

والذي يفعل هذا فإنما يوصِّف الأمر على غير حالته، فلا الخلافة منتظم أمرها في عهد الغثاء وشكل الدول في العالم الحديث مع نمط السيادة ومفهوم الشرعية المتداولة بدول متمدِّنة منتسبة إلى الأمم المتحدة وأسرة المجتمع الدولي على نسق لا تكون فيه المرجعية في أي مستوى محلي أو إقليمي أو دولي يحتكم إلى دين أو شريعة، وإنما هي الدولة المدنية ذات الهوية المواطنية بحيث تستوي منزلة كل مواطن وتسويته مع الآخر بموجب الجغرافيا والامتيازات في الانتساب لـهذه البقعة

والصيغة التي تنظم معاش هؤلاء الأمم والشعوب هي أعراف دوليَّة ونُظُم ذات صياغة وضعية لا تستند من حيث الأصل بمرجعية الوحيين كأصل، وبالتالي فإن من التدليس والتلبيس بمكان إضفاء الأوصاف الشرعية ذات القيمة الربانية إلى مواصفات حادثة وأنماطٍ طارئة.

الممارسة الثانية: مسلك اللَّائذين بحكم الواقع وصولته في قلوب أهل العالم اليوم إلى حالة من الفوضى المقصودة التي تعيد من وقت إلى آخر ترسيم الإحداثيات المتنوِّعة للنَّمط المتحوِّل والشكل المتبدِّل للدولة الـمنشودة، وهي أقرب ما تكون إلى فكرةٍ في عالم المثال أو الخيال ترى في الـواقع المُعاش أفضل الإمكانيات المقبولة والأنماط الموصولة، وبالتالي إخراج قضية الأمة أن يتعلق بنصوصها أي توجيه لآلية ارتفاق القرار ونمط الصياغة والهيكلة لأنموذج العمران الإنساني بإقامة الخلافة عن الله على وجه من التعبد الجمعي الناظم لمشروع الأمة.

والذي يعنينا في هذا السياق هو مدى انضباط حركة الإنسان على نسق مضبوط على سنن الديانة الحقة، بمعنى أنَّ الإنسان يتعبد الله في الوجه الذي يسلكه في إقامة هذا المعنى التدبيري المراد من وجود المسلم في الأرض لعمارتها وارتفاق مسخراتها في مظهر من مظاهر خلافة الرحمن في المملكة الكونية وصورها عمران وتدبير على وجه مشروع، لا يتحيَّل المرحلة فيسمي الأشياء بغير مسمياتها ويرتجل اشتراكاً لفظياً في مصطلح

رائجٍ سائد متداوَل ثم يسقط عليه شريعة أجَلُّ من ذلك وأنفع وأوفق، أو يعظِّم في قلبه صورة الواقع فيذوب فيه في محاولة توليفية يتعملق من خلالها حسه وينغلق بها أسّه، بل يقرأ الواقع بفعالية شرعية تحكم نظر الإيمان، وهنا يدرك دور الراصد بعينين اثنتين: الأولى: عين الحكمة، والثانية: عين الرحمة.

بالأولى يفهم حركة القدر الربّاني في واقع المرحلة مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾ [الأنعام:١١٢]، وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ﴾ [الفرقان:٢٠].

وبالثَّانية يؤدِّي وظيفة التديُّن من خلال الشَّريعة وأحكامِها، وهذا المطلب هو ما يَعنينا هنا من حاجةٍ عصريةٍ مُلحَّة لصياغة شرعيَّة وتأصيلٍ واعٍ لمسائل التَّنظير الفِقهِي فيما يتعلقُ بشكلِ المجتمع اليوم ونظام الحكم فيه وما يتعلق من علائقَ وأنماطٍ سائدةٍ رائجة جاءت لأمَّتِنا مستورَدة ولم تساهم فيها إلا بأدوات إجرائيَّة يسيرة، ونحنُ نعلمُ أنَّ اللَه سبحانه وتعالى جعل في كتابه الكريم: ﴿تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ [النحل: ٨٩]، وأنَّ السُّنَّة المطهرة والسيرة النبوية ظهرت فيها أنماط حكومة الحبيب الأعظم ﷺ، وأنَّه شكَّل مجتمعاً مدنياً قائماً على نُظُم وضوابِط وحركة اجتماعية متينة، وثقافة اقتصادية متكاملة، وامتدَّ تراثٌ من التجارب في تاريخ الأمَّة وأصولِها حتى بدأت هذه المرحلة الغثائية والتي ورد في

بعض نصوصها أنَّها مرحلة تُفضي إليها الأمة بمجموعها، هي أقرب ما تكون إلى أن: «تصيرون فيها إلى الكفر»[١]، بمعنى أنَّ قرار الأمة ليس لها ولا هو مِنها.

ما الأحكام الجارية هنا في السياسة الشَّرعية؟

وما التأصيل الأقرب لكلِّ الأفعال وردَّات الفِعل الواقعة في هذا الإطار؟

إنَّ لهذه الأمَّة ﴿شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨]، ولا شكَّ أنَّ منهاجها وشِرعتها تراعي حالات الصحَّة والمرض في جسد الأمَّة، ومن الأمراض الوَهَن والتَّداعي[٢]؛ بمعنى أنَّ الأمَّة اليوم في مرحلةٍ طارئة تحتاجُ نوعاً خاصاً من التأصيل لا يتَّسع معه إغراق الـوقائع بأحكام سبقت لواقعٍ صحيحٍ وشكل تنتج الأمَّة قرارها من خلاله.

ثمَّة قواعد كلِّية وأصول أوليَّة متناثِرة في كُتُب الأصول والقواعد

---

(١) «الفتن»، لنعيم بن حماد، (٩١).

(٢) في الحديث عن النَّبي ﷺ قال: «يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها» فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ؟ قال: «بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعنّ الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن الله في قلوبكم الوهن». فقال قائل: يا رسول الله، وما الوهن؟ قال: «حب الدنيا وكراهية الموت»، «سنن أبو داود»، (٤٢٩٧).

الفقهية يمكِنُ جمعها والانطلاق منها، وثَمَّة افتراضاتٍ وضعها العلماء لأزمانٍ يقع فيها شرخٌ في بيتِ القرار استشكلوا لها الأحكام، وثَمَّة تجارب مقاربة لمذاهب من أهل القِبلة جَعَلت من قضية القرار فيما عبر عنه بالإمامة، تَحتاج إلى مراجعة واستجلاء، وكذا لدينا نصـوص تحمِل السَّلامة لمراحل الطوارئ، فإن أعدنا قراءتِها على طريقة العلامات والمواقف؛ بمعنى أنَّ لكلِّ موقفٍ على هديِ النُّبوَّة نُحدِثهُ في أوقاتِ العِلل هو مرتبطٌ بعلامة على التَّحوُّل الحاصل في واقع الأمة فيبرز هذا الموقف.

يقابل هذا في علوم الفقه والعقائد والسلوك النّصوص والأحكام؛ أي أنَّ لكل حكم مستخرج من نص بشكل مباشر أو غير مباشر، فحركة النّصوص مع الأحكام تفرض نوعاً من الثبات بخلاف نمط التَّغيرات الذي يفرض أحكاماً خاصة مستمدة من الأولى وعلى نحوها وقع اشتقاق الحكمة لها، وهذا يجعلنا في كل وقت استثنائي ووقت طوارئ أن نبحث عن المواقف المقارِبَة وبحثها في دراسة مستقلة.

وكـذلك الأمر في تفعيل حركة التبديل في آيات القرآن الكريم فإن من حكمة الحق سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ﴾ [النحل:١٠١]، هذا التَّبديل أقرب ما يكون إلى الموقف الشرعي المناسب مع هذا التوقيت وهو ما يجعلنا ننظر إلى قضية ومسألة النَّسخ أنه نسخٌ مرحلي يتبدّل من مرحلةٍ إلى مرحلة ومن زمنٍ إلى زمن.

لعل كثيراً ممن ينتبهون إلى محتوى هذا السطور يتفاجئون!

لكن المفاجأة الأكبر كانت في إدراكنا قصور آلة التنظير عن توثيق مرحلتنا الحالية، وما دام هذا التوصيف مُشكل فكيف بإيجاد الحلول ورسم البدائل؟!

❊ ❊ ❊

المشروع الآمن في الانتقال من مرحلة الاستنفار إلى مرحلة الاستقرار[١] (معاً.. لإنقاذ ما يمكن إنقاذه)

مدخل

إن ثمة توصيفات عدة لما يحصل في عالمنا العربي والإسلامي في هذه المرحلة الحرجة من عمر الزمن، وهذه التوصيفات قائمة على

(١) بدأتُ في صياغة ورقة العمل هذه على خلفية زيارتي لدبي/ الإمارات في شعبان ١٤٣٢هـ، عطفاً على مذاكرات في هذا السياق، وأعدتُ النظر فيها عقب دورة في شرح أربعين حديثاً في فقه التحولات جمعها أخي د. عمر باغوث، وشرحتها للطالبات في معهد الحوراء للتأهيل والبناء في شعبان ١٤٣٥هـ، وجاءت هذه الورقة كخلاصة توصيفية للحاجة.
ثم شاركتُ بها في الملتقى العلمي الأول والذي انعقد في مدينة العقبة بالأردن مشاركة بين معهد المعارج للدراسات الشرعية ومجمع البيطار الإسلامي، وحضور الشخصيات الدينية الرسمية الأردنية، وكان الملتقى بعنوان: (أن أقيموا الدِّين ولا تتفرقوا فيه)، في العام ١٤٣٦ هـ/ ٢٠١٤م.

تصورات مسكـونة بخلفيات متنوعة، ويستتبع هذه التصورات جملاً من التصرفات القائمة على ردات الفعل من جهة والفرص المتاحة من جهة أخرى، وثمة مطابخ تصنع مشاريع ومصطلحات وتجدول خرائط تعيد تشكيل منطقتنا، لا في جغرافيتها وتاريخها فحسب بل وفي وعيها وذاكرتها وشعورها وذوقها وعلاقة ونسب ارتباطات الناس بعضهم ببعض، وقراءات متعددة استنباطية تارة وتحليلية تارة وتركيبية تارة وجدلية تارة وضدية تارة.

وحتى لا ندخل في حالات من الارتجال والاستعجال للتعاطي مع أي من التصرفات الصادرة عن مختلف مكونات مجتمعاتنا وتكويناتها بما تحمله من آفاق ورؤى وإمكانات وكوادر، في جانب الحاكم أو المحكوم، أو في جانب المستقلين أو المتكتلين، لا بد لنا من أن نعمل الفكر في التبصر بمواطن الإقدام.

ونقرر جملة من الضوابط بين يدي أي ممارسة أو فعالية للتفاعل أو التواصل أو التداخل مع أي من هذه المنطلقات ومآلاتها، والأوساط المتشابكة والمتشاركة التي تؤصل منطلقها أو تشكل مستقبلها، مترفعين في هذا عن أي فعل من شأنه أن يؤدي إلى إساحة الدم أو إشاعة الذم على الوجه المحظور والممنوع في ديانتنا وشريعتنا.

إنها دعوة للحوار في مرحلة متداخلة لا تعرف نتائجها، لكن

تستلمح مظاهرها في موجات متعددة من شرق وغرب، تستهلك حركات وحراكات وكيانات وأفراداً، تتفكك فيها البنى السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية لمحيطنا، ونرقب فيها استقراراً من بعد هذا الاستنفار، وإن طال زمناً أو اتسع وقتاً.

فلنصطلح على أن تكون هذه الأوراق مسودة مشروعنا، ألا وهو المشروع الآمن في الانتقال من مرحلة الاستنفار إلى مرحلة الاستقرار، والعنوان في هذا **(معاً لإنقاذ ما يمكن إنقاذه)**، لننعم بالأمن والإيمان والأمان، ونحقق مراد الله في مرحلتنا المعاصرة وفينا.

الموجة الحالية:

الديمقراطية التي يراد إشاعتها في عالمنا الإسلامي والعربي خلال العقود الأخيرة تخلص إلى (توجه الفرد للمطالبة بحقوقه)، وهذه صفة تجعل الإنسان لا يفكر إلا بالأخذ، والأخذ يورث الشح والبخل، والشح يورث الاحتكار، والاحتكار يورث الظلم والظلم يفجر الصراع، والصراع يهدم الأمن، وينتهي إلى شيوع الجريمة في حياة الأفراد والحروب في حياة الأمم[1].

إن المطالبة بتطبيق هذا النمط من الديمقراطية إنما هو تكتيك أو إجراء مؤقت هدفه تحقيق ثلاثة أهداف:

---

(١) «الهجوم على الإسلام والمسلمين»، د. ماجد عرسان الكيلاني، ص٣٢٠.

الهدف الأول: إفساح المجال للعناصر الوطنية المناهضة للهيمنة الأمريكية ـ الإسرائيلية تطفو على سطح الأحداث وتكشف عن قواها وقدراتها وبرامجها الجديدة، ثم تمكين النظم الموالية لها من ضرب هذه الأجيال الوطنية الجديدة.

الهدف الثاني: إطلاق قوى التناقض والأحقاد وتفجير المجتمعات الإسلامية من داخلها وشيوع ثقافة الاستهلاك وإشاعة معالم خاطئة تتصل بمفهوم الحرية.

الهدف الثالث: التمهيد لحرية الردة عن الإسلام وهو ما نشهده اليوم من موجة الإلحاد في شباب البلدان العربية والإسلامية.

وسيفضي هذا بمنطقتنا وتكويناتها وشرائحها بحسب وجهة نظر بعض الكتّاب والمفكرين إلى: محاولة تفكيك الأنظمة السياسية القائمة، وإثارة الفتن والاضطرابات الدامية في الأقطار العربية والإسلامية وتحويلها إلى تجمعات عرقية أو طائفية تمهيداً لإنشاء الشرق الأوسط الجديد[1]، وبالتالي فإن لهذا أثراً كبيراً في الأفكار والمعتقدات والنظم الإجتماعية والروابط الأسرية..«إنَّ الوصول إلى مشروع الديمقراطية الحرة

(١) تكلم عن هذا المشروع في عام **١٩٩٥**م البرفسور اليهودي برنارد لويس في كتابه: «تعدد الهويات في الشرق الأوسط».

في الأوطان العربية والإسلامية هو الـمشروع المنتظر تنفيذه بالتـدرج المطاطي»[١].

المعالم العامّة للمشروع الآمن:

إنَّ أي مشروع يراد أن تكتب له النجاعة[٢] في الحل، والنجاح في الأصل، لا بد أن تكتمل فيه أضلاع المربع ألا وهي:

ـ بيت العلم والتربية والدعوة، كمنطلق لمعارف الوحي وبياناته ومرفق خدمة ثوابت الديانة المُصانة في العبادة والمعاملة من خلال البيانات الإلهية في الكتاب والسنة.

ـ بيت الحكم والقرار، بما يمثله من مؤسسة صنع القرار وتدبير الشأن العام، ومفصل من مفاصل العلاقة مع الشكل الأخير لعالمنا اليوم بما يسمى (أسرة المجتمع الدولي).

ـ بيت المال والإمكانيات، لطبيعة العصب والعرق النابض الذي يمثله الاقتصاد والإنتاج.

---

(١) «المرصد النبوي تقارير واستقراءات ودراسات من واقع القراءة النصيّة لفقه التحولات»، للحبيب أبي بكر العدني، تقرير: ظاهرة التحدي العلماني والتعدي الظلماني من ثمرات العولمة في مظهرها المعروف بأمرين: التكنولوجيا المعلوماتية والقوى الدولية، ص ٦٦.

(٢) نجع الوعظ والخطاب فيه أي: عمل فيه ودخل فأثر، انظر: «تاج العروس»، للزبيدي (٢٢: ٢٣١)، مادة (نجع).

ـ بيت الإعلام والرأي العام، كبوصلة توجيه وصناعة الرأي العام كآلة حقيقية في عالم رقمي.

و مجالات العمل لصياغة هذا المشروع وترتيب عناوينه وآلياته، ممكن أن تكون على النحو التالي:

١ـ المجال البحثي والدراسات.

٢ـ المجال الميداني العلمي الدعوي الذوقي.

٣ـ المجال الإعلامي.

٤ـ مجال الاكتفاء الذاتي.

و لكل مجال تفصيل من حيث الأدوات والآليات.

١ـ مجال البحوث والدراسات:

من خلال:

ـ إعداد دراسات وقياس رأي عام الشارع؛ لرصد الظواهر الفكرية والدعوية المختلفة لحركة الأفكار الوافدة والراكدة.

ـ استصدار دراسات بحثية في موضوعات ذات إشكالية من خلال الفهم الشرعي والقراءة الشرعية الواعية.

ـ استكتاب متخصصين وباحثين في أبواب تحتاج للنقد والدراسة والتأصيل.

٢ـ المجال الميداني العلمي الذوقي الدعوي:

من خلال:

ـ إشاعة حلقات التعليم المسندة في إطار مدرسة التوسط والاعتدال لأهل السنة والجماعة بمذاهبها الفقهية ومشاربها الذوقية، إحياء للذوات في الأفراد والقواسم المشتركة في الأمة.

ـ إحياء المناسبات الدينية المختلفة على مدار العام مواصلة للأعراف والعادات الأصيلة في مجتمعاتنا والتي تربط الجيل بالهوية الأساسية وتستظهر صلة الأجيال ببعضها.

ـ عقد مؤتمرات علمية ولقاءات متخصصة وورشات عمل تهدف لمناقشة أبرز الأفكار التي تؤثر في مجتمعاتنا اليوم.

ـ صياغة برنامج تأهيل دعوي للأئمة والخطباء والمباشرين للدعوة العامة لإشاعة منهجية الرحمة ومسلك التوسط والاعتدال والسلامة في بيوتنا ومساجدنا ومؤسساتنا التعليمية والشبابية.

ـ استضافة دعاة مؤثرين لتأسيس مبدأ الحوار مع الشرائح المختلفة المكونة لمجتمعاتنا.

٣ـ الفضاء الإعلامي:

من خلال:

ـ نشر وتوزيع مجموعة من المطويات والكتيبات والكتب والأدبيات المنشورة والمنثورة.

ـ إنتاج عدد من البرامج الإعلامية مسموعة ومرئية وبثها من خلال القنوات الإذاعية والتلفزيونية ومواقع التواصل الإجتماعي على الشبكة الإلكترونية.

ـ تأهيل كتلة إعلامية منوعة من كفاءات متنوعة في مجالات العمل الإعلامي في أبعادها المختلفة.

٤ـ مجال الاكتفاء الذاتي:

من خلال:

ـ تحفيز همم الشباب للاهتمام بالمشروعات الإنتاجية الصغيرة.

ـ اعتماد مبدأ الاكتفاء الذاتي على صعيد الأسرة والمؤسسة والمجتمع والبلد والأمة الواحدة.

ـ تأكيد أهمية الحرف والاختصاصات في رعاية المسؤولية النبوية في وقائع المرحلة الحالية.

إن هذه المقترحات والأفكار نحتاج إلى أن نحولها إلى خطة عمل مرقومة بالأفق الزمني وآليات التنفيذ وجهاتها وصياغة وثيقة لإدارة هذا المشروع بما يكفل تحقيق نتائجه في الشرائح المختلفة.

فقه التحولات فقه ناضج وصمّام أمان ومشروع سلام

خاتمة

لم يرتحل النبي ﷺ إلى الرفيق الأعلى إلا وقد ترك أمته على المحجة البيضاء، ذاكراً لها كل مرحلة من المراحل التي ستمر بها من بعده، وقد وضح ﷺ عناوين كل مرحلة وبيّن مفاصل فتنها، وكشف للأمة عن شؤون التحولات والمتغيرات التي ستقع بها، وحدّد لها الموقف النبوي الذي من شأنه أن يحفظ صاحبه من الفتن والتحولات ويبقيه في دائرة الأمان والحفظ، فدوائر الحفظ موجودة إلى آخر الزمن بسر اتصالها بزمن الوحي والنبوة، والارتباط بذوات ورجال أهل وراثة النبوة، والابتعاد عن مواطن وأماكن الفتن، وبسر ما قاله النبي ﷺ في العصمة من فتنة الدجال «إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه»[١].

وقد وصلت المراحل بالأمّة إلى مرحلة الاستنفار وهي المرحلة التي تنكشف فيها أوراق الدجل والدجاجلة، وتُعرف حقيقة المؤامرات

---

(١) «صحيح مسلم»، (٢٩٣٧).

التي تحاك ضد الشعوب المسلمة وضد الإنسانية بعمومها، دون قدرة الشعوب على التغيير أو النهوض المباشر لضعفها الديني والاقتصادي واختلافها السياسي والاجتماعي، واختلاف المسلمين المعنيين بالأمر فيما بينهم على المذاهب والجماعات والأحزاب والرؤى المؤدية إلى الفشل والحيرة.

وقد وصّى النبي ﷺ كل فرد في هذه الأمة للبقاء في دائرة الحفظ والأمان في هذه المرحلة بأن ينشغل بخويصة نفسه وأهله وأصحابه وطلّابه بتثبيت علوم الديانة والهداية (الإسلام/ الإيمان/ الإحسان)، وبدراسة منهجية لعلوم الصيانة (فقه التحولات) للمساهمة في إصلاح ما فسد وترميم ما هدم، بالإضافة إلى عدم الخوض في الشأن العام مع التأثر لما يحصل والتوجه إلى الله والدعاء بأن يفرج عن الأمّة ويكشف الغمة، وتسليم اللسان من الذم وحفظ اليد من الدم، مع الثبات في الموقف وعدم الانقياد إلى حزب أو نظام أو فرقة، وإنما متابعة آثار الخلفاء المهديين والورّاث المحمديين مع محاولة بسط اليدين لعقلاء هذه المرحلة الذين يريدون الأمان والسلام للأمة لإحياء القواسم المشتركة وللجمع والبناء والموافقة للوصول إلى المشروع الآمن الذي ينقل الأمة بسلام من مرحلة الاستنفار إلى مرحلة الاستقرار.

❋ ❋ ❋

الوعدُ المنصوص والبنيانُ المرصوص

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [الصف: ٤].

فما كان أوَّله وعداً منصوصاً كان آخره بنياناً مرصوصاً.

الحمدُ لله منشئُ الوجودِ من العَدم، الفعّالُ لما يريدُ من ألطافِ الكرمِ وواسعِ النّعم ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [النحل: ١٨]، وصلى الله وسلم على الرَّحمة المُهداة سيِّدنا رسول الله محمَّد الذي أرسله الله بالإسلام كحلٍّ أخير لهذا العالم الإنساني فيما يتعلق بمعاشه ومعاده.

وبعد؛

فإنَّ من المتعذِّر اليوم قيام مشروعٍ خالصٍ على سَنَن الديانة، وذلك راجعٌ إلى عدَّة أمورٍ وحيثيَّات يمكنُ إجمالها في ثلاثة نقاطٍ أساسية:

أولاها: تمكُّنِ مقاولي منهجيَّة الشرِّ في العالم الإنساني ممثلةً

بإبليس وحلفائه والدجال وأعوانه ومن يعمل على هذه النَّمذجة والقولبة في تنميطِ المشاريع، وأقصِدُ من تنميطِ المشاريع: إيجادِ نمطٍ معيّن لها، ساهمت في إيجاده حالة المأسسة التي يعيشُها العالم ممثلةً في أسرةِ المجتمعِ الدولي وما ينبثق عنهُ من محافلَ وهيئاتٍ وتكتُّلات ونُظُم تغتذي من أصوله المنهاجية وتنتظم بفعالية شكَّلت وعياً جمعيًّاً وحالةٍ عامة ضَبَطت مِن خِلالها أيَّ نشاطٍ أو فعاليَّة اقتصادية كانت أو اجتماعية أو سياسية ضِمن لوائحَ وحقوقٍ والتزامات، فإذا قُدِّرَ لأيِّ مشروع أراد أن ينضبطَ بأصولِ الرِّسالة الخاتمة وقواعدها فعليه لزاماً أنْ يستظهر النَّمط العام العَولمي ويدخل في إجراءاتِهِ وقوانينه ولوائحه ونُظُمه، ومن هنا تبدأ المفارقة التي تُفقِد أيَّ مشروعٍ وُجهَتِه وتُذَبذِب بُوصلتِه، وينتهي بصيرورة طالت أو قَصُرت إلى التغنِّي بعناوين أبعَدَ ما تكونُ عن واقعِ الزمن، أو رؤى لا يمكِنُ تنزيلها مع ما سَبقَ الكلام عنه من التزامات مُتداولة وأعرافٍ متناوَلَة شكّلت نمطاً سائداً وفكراً صاعداً.

ثانيها: ما وصلت إليه مسيرةُ المدارس التي حاولت وتُحاول تقويض كُتلة النُّور في الأرض وحَسر منهج الطُّهر والتوحيد وصَهرِه في بوتقةِ العالمِ الجديد والمنظومة العولميَّة الواحِدة والعابرة للقارات والمتعدِّدة في الجنسيات والمتنوعة في الهُويات، ومارست هذه المدارس حالة من تفكيكِ النِّسب المرتبطة والمنضبِطة بأصلِ الـوحيِ وما تفرَّع

عنه من أحكامٍ استُخلِصت واستُخرِجت من الخطابِ الإلهي الذي أراده من عبادِهِ معرفةً وعملاً ورجاءً، ويعبَّر عن هذا التفكيكِ للنِّسبِ والارتباطات في فقهِ التَّحوُّلات بـ(نقض العرى) استناداً للنصِّ النَّبوي: «لتُنقضنَّ عُرى الإسلام عروةً عروة فكلما انتقضت عروة تشبَّث النّاس بالتي تليها، وأولهنَّ نقضاً الحكم وآخرهنَّ الصلاة»[1]، وغيرها من الروايات كثير، إلا أن نقض العرى يمتد إلى رُتبةِ الإيمان.

والرَّاصد لحركة النقضِ هذه أو تفكيك النِّسب يَلحظ أنَّها بدأت عملها الدؤوب مما يقارب ثلاثة قرونٍ خلت، وبالتالي فالشكل الذي انتهى إليه العالم حالياً والمسلمون بشكلٍ أخص في صورةِ الدولة الحديثة ضِمن مفهومِ سيادة قيم ونُظُم وأعراف المجتمعِ الدَّولي وما سيتبع ذلك من مجتمعات استهلاكية اقتصادياً وثقافياً، ومفكَّكة اجتماعياً مع طَفرةِ الآلة وسُيولةِ المعلومة وحركةِ الاتصالات والمواصلات، كلُّ هذا وغيره أدَّى إلى انفصال معالمِ الدِّيانة عن بعضها وتفريغ مُحتوى كثيرٍ منها على مستوى (الإسلام) ومرتبته في فعل الجوارح وحركة الذِّكر في الإنسان، وعلى مستوى (الإيمان) ومرتبته في فعل العَقلِ وحركةِ الفِكر في الإنسان، وعلى مُستوى (الإحسان) ومرتبتهِ في فِعلِ القلب وحركةِ الشُّكر في الإنسان.

---

(١) «مسند أحمد»، (٢٢١٦٠).

هذا الانفصال بين هذه المراتب من جهة، وتقويض بنُيان الإسلام من جهةٍ أخرى، وتفتيت شُعَب الإيمان من جهةٍ ثالثة، وعزلِ مسلكِ الإحسان من واقع الأفرادِ والذَّوات ضِمن تفاعلاتٍ من داخلِ بيتِ الإحسان ومن خارجه، ولّد ظهور مدارس عدَّة أخذت مظاهر الغُلو والتنطُّع والمغالبة للدين في الفهم والتنزيل أورثت تعاطي أهل الدِّين مع الحرام في أبشع صُوَره وعزلِ الطيبات من واقع الناس، وغدت مكانه الخبائث والمحرَّمات مما ولّد ازدواجية وانفصالاً لا تزال تظهر آثاره على فعالية المُجتمعات وحركةِ الشعوب.

وأغلب الحُلول التي جاءت لتخفيفِ حدّة التوتُّر على هذا الصَّعيد اقتصادياً واجتماعياً هي من الحُلول التَكيُّفية وليست من الحلول الجذرية؛ بمعنى أنَّها تكيَّفت مع النَّمطِ المتُداول عالمياً وحاولت إيجاد نسخةٍ منه صالحةً للتداول إسلامياً، ولم توجِد حلاً جذرياً حقيقةً لمشكلات المرحلة والتي تُهدِّد بحربٍ كونيَّة وانهيار قيَمي ومأساة اقتصادية تزيد كلها من الحرب بين الأمم والجريمة بين الأفراد.

وثالثها: الانزياحات المتعددة التي وقعت في منظومةِ العَمَل الديني من دائرة العِلمِ المسنَد الممزوج بالتزكيةِ والعمل إلى دوائر الفِكرِ والثقافة التي هي جادّة ونافعة، لكن ليس لها ما للعِلمِ من مرتبةٍ ودرجةٍ ومصدريةٍ، وغياب منهج التربية الرُّوحية العميقة الذوقيَّة الباطنيَّة إلى

رقائقَ عَجلى، وذوقيَّات تخلو من سرِّها وجوهرها، وتُحوِّل من مسلكِ الدَّعوة التامَّة العامَّة الجادَّة إلى كُتَلٍ حركيَّة ومواقفَ طَبعيَّة، ودخَلت المذاهب الكبرى في برنامجِ تسييسٍ مُمنهج لأجلِ زيادة الكراهية بين الشُّعوب المسلمة والتحريش بينها لتظهَرَ معاني الاحتكارِ والشُّحِّ والهُوِيَّة الخاصَّة، وتحَصل حالة استقطابٍ تولّد أنواعاً من الصِّدام والمدافعة على هيئةِ أضدادٍ متصارعة وكُتلٍ متدافعة تُستثمر فيها كل ورقةٍ بيضاء نقيَّة فتلوِّث من يمثِّل هذا المسار وهذا الاجتهاد ولكُلِّ جهد.

إنَّ هذه الأسباب تجعلنا نعي جَور المرحلة؛ كَمَرحلةٍ فيما وصَلَنا إليه، نتفائل بموعوداتِ الحقِّ لعبادِهِ من جهة، متدبرين للمنهجيَّة الأفضل في تدبير معالم العَمل الدِّيني، سَبَقت الإشارة إليها باقتضاب في ورقة «المشروع الآمن»[1] عبر مراحل متتابعة يمكن أن نلحظها على النحو الآتي:

١ـ مرحلة العمل في الخُويصة:

مع كل ما نشهدُهُ من واقعٍ دامٍ مُؤلم في المُحيط المحلِّي والعالمي إلا أنَّنا لا ندعو إلى سلبية أو اعتزال، بل إلى مبادرة حقيقة وعملٍ جادٍ دؤوب ضِمن مجالٍ حقيقيٍ مفيدٍ نافع ولو على مدىً طويل، نستخلصُهُ

(١) المقال السابق.

من حديث النبي ﷺ[١] في علاماتٍ رصَدَها لأمَّته من الأثَرة وتعاظُم النُّفوس في أربع علامات رئيسية:

١ـ الهوى المتَّبع.

٢ـ الشُّح المُطاع.

٣ـ الدُّنيا المؤثَرة.

٤ـ إعجابَ كلِّ ذي رأيٍ برأيه.

وَوَصف لأمِّته الحل الناجع في ثلاث:

١ـ دع عنك أمر العامَّة

٢ـ اعتزل الفِرَق كلَّها.

---

(١) «سنن أبي داود»، (٤٣٤١)، عن النبي ﷺ قال: «حتى إذا رأيت شحاً مطاعاً، وهوى متبعاً، ودنيا مؤثرة، وإعجاب كل ذي رأي برأيه، فعليك ـ يعني بنفسك ـ ودع عنك العوام».

وفي الحديث الآخر عن النبي ﷺ قال: «ستكون أَثَرة وأمور تنكرونها» قالوا: يا رسول الله فما تأمرنا؟ قال: «تؤدون الحق الذي عليكم، وتسألون الله الذي لكم..» إلى أن ذكر فيه: «.. فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: تلزم جماعة المسلمين وإمامهم، قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض بأصل شجرة، حتى يدركك الموت وأنت على ذلك»، «صحيح البخاري»، (٣٦٠٦).

٣ـ عليك بخُويصة نفسك، ولهذا اللَّفظ النبوي روايات:

«خُوَيصة نفسك»[١]، «خاصة نفسك»[٢]، وهذا يجعلُ ثمّةَ انتظامٍ فيما أسلفناه، أن هذه المرحَلة المقترِنة بالعلامات الأربع لا بدَّ فيها من تركِ الشَّأن العام، وعدم الدُّخول في صراعٍ دائرٍ ولو مع أي طرف، والعمل في أضيقِ الدوائرِ من حيثُ الأمان في الجِهة والتأثير في الفِئة.

ومفهوم هذه الخُويصة يَضيقُ ويتَّسع بحسبِ كلٍّ ذات وموقعَها في قرارِ العِلم أو الحُكم ودرجةِ مسؤوليتها الشرعيَّة في من تَعول.

وهذا العملُ في دائرةِ الخُويصة لا بد أن يُتنبَّه فيه لقَيدَين:

القيد الأول: أن تحَفظَ الخُويصة في فكرِها وسَيرِها وزَحفِها وقَومتِها ثوابتَ الدِّيانة الشَّرعية كمراتبَ متَّصلة في دوائرِ (الإسلام) و(الإيمان) و(الإحسان) هذا من جهة الإيجاب.

ومن جهة السلب ألَّا تدخل في لعبةِ التسييس المعاصِرِ وما تشوبُهُ من منافسةٍ وتَحريشٍ بحيث لا تكون ورقة مستخدمة لا لشرقٍ ولا لغرب، وإنَّما دعوةٍ خالصةٍ ربَّانية صافية مسالمة.

القيد الثاني: مراعاة الشكل الهيكلي للزَّمن، حيث الشَّكل المؤسَّسي

---

(١) «سنن ابن ماجه»، (٤٠١٤).

(٢) «سنن الترمذي»، (٣٠٥٨).

الظاهر على مسير الأعمال المتنوِّعة في العالم أجمع، وهذا أمرٌ إجرائي يقعُ فيه التجديد بِحكم الزَّمن، وتحتاجه الخُوَيصات المتناثرة المنتشرة في بقاعِ العالم؛ لتظهر الكفاءات والاختصاصات ويكون فعالية بهذه الأعمال بزيادة كتلة النور في العالم مما يساهم في انحسار كتلة الظلمة.

العمل في الخُويصة لا غنى عنه أبداً لأنَّه عملٌ منتِج ونافِع لا يَستهلك المشاريع في قولبةِ العَولمة الحالية، ولا يستنفد طاقات الذَّوات عن أصلِ فِكرتِهم في معارِكَ وهميَّة وأعمال لا جَدوى منها فَضلاً عن دورها في تفتيت المفتَّت وتقسيم المقسَّم وتجزيءِ المجزَّأ.

٢ـ مرحلة الرّايات:

شأنَ الوجودِ الدَّورية والاستدارة: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾ [الأنبياء:١٠٤]، ومن أسرارِ هذهِ الإعادة الربَّانية ألَّا يستديمَ حال، ومن هُنا فإنَّ ثمَّة ترقُّباتٍ تلحظ انهيارَ هذهِ المنظومةِ العولميَّة بكلِّ ما ولّدته وأنتجته من مفاهيمٍ وأعرافٍ ونُظُم وقِيَم، ا نهيار هذه المنظومة راجعٌ لأسبابٍ ذاتيَّة وموضوعية ليسَ هُنا محلَّ استقصائِها، لكنَّ وقوع أمرٍ كهذا سيجعلُ العالَم مفتوحٍ أمامَ أي مشروع يُطرح.

ومن هنا يَستشرف المتابع والمطالِع لبعضِ الرِّوايات كالواردة في «الفتن»[1] عند نُعيم بن حماد أن ثَمَّةَ ثلاثَ راياتٍ تظهر في يومٍ واحدٍ،

(١) ص ٢٨٥ رقم الحديث (٨٣٣) وما يليه.

في شهرٍ واحدٍ في سنةٍ واحدة هم: السُّفيانيَّة، الخُراسانيَّة، واليمانيَّة.

من التسميات نجدُ أنَّ الجُغرافيا حاضرة وكأنَّها مشاريع أخَذَت شكلَ راياتٍ بألوانٍ ورموزٍ وغاياتٍ وأهداف، يُحاوِلُ كل واحدٍ منها أن يتمدَّد لأجلِ إقامةِ مشروعِهِ على الوجهِ الذي يراه.

ولكل راية منها وكلاؤها ولها مُدَّتُها حيث تأخذ كل راية منها في التمدُّد زمناً، ومن الطبيعي والمعقول أن يحصل احتكاك بين هذه الرايات بل ومدافعات؛ لأن الآثار التي خلقتها المرحلة العولمية غاية في الخطورة، والناس تبحث عن المخرج؟

وردت إشاراتٍ عدَّة في أحاديث النُّبوَّة جليَّةً وخفيَّة إلى مواطِن التَّدافع وبعض أشكاله وللأسف فإن كثيراً من هذه الرايات فيها دَخَن، بل وتُساهمُ كما في السُّنن في: «مِلءِ الأرضِ جوراً وظلماً»[1]، ولكن هذه المرحلة أقرب من التي قبلها إلى حركة القسط والعدل ومشروع الهداية والهدى أمام حركة الدجَل والدجَّال والدجاجِلة.

ستقدِّم هذه الرايات والبيارق والألوية خُطط عمل لشعوبها، والمنتسبين إلى خطِّها العام لخويصات وكتل، لكن لا تخلو من استقطاب مع استغلال المشاريع في هذه المرحلة عن علل المرحلة المذكورة

(١) «سنن أبي داود»، (٤٢٨٥).

آنفاً، إلا أنَّها مليئة بالأغراض والأمراض، ولن تقدِّم للنَّاس والشعوب الاستقرار الحقيقي والحياة الكريمة، إلا أنَّها في مجموع المراحل بداية فرج ومرحلة تنفُّس أوليَّة.

٣ـ مرحلة الخِلافة على منهاج النُّبوَّة:

في الموعودات الإلهية للأمَّة الختم أنَّ خلافةً راشدةً على منهج النُبوَّة في أوَّلها وفي آخرها[١]، وأنَّ الأمَّة في آخرها تترقَّب وعد قيام حكومة السَّلام العالمية مع ابن مريم عليه السلام[٢]، وتمهيد ذلك قيام عمل عالمي نبوي راشد على منهاجِ النُبوة وقِسطاسها يُساهمُ في حركةٍ عالمية تزرعُ الوئام بين المسلمين، بل وتوحِّد بين مذاهبهم ومشاربهم العلميَّة والذوقية، وتحسِم الخلاف في كثيرٍ من القضايا، وتؤمّن المجتمعات،

---

(١) قال رسول الله ﷺ: «تكون النّبوة فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء الله أن يرفعها، ثم تكون ملكاً عاضاً، فيكون ما شاء الله أن يكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكاً جبرية، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج نبوة». «مسند أحمد»، (١٨٤٠٦).

(٢) قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده، ليوشكنَّ أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً مقسطاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد»، «صحيح البخاري»، (٢٢٢٢). وفي رواية: «.. حكماً مقسطاً، وإماماً عدلاً»، «سنن ابن ماجه»، (٤٠٧٨)، وغيرها.

بل وتُعمِّر حضارتها في مدٍّ اقتصادي وثقافي واجتماعي عالمي لا يلبث إلا أن يثير ضغائن مقاولي الشرِّ في العالم، فيبدأُ اجتماعهم في حصار هذا المدِّ العالمي وهذه القوة المحمَّدية والنُبوَّة الأحمديَّة عبر تناغم مع حالةٍ كونيَّة من القَحط يعم أرجاء العالم ضِمن مسار المناخ.

إنَّ ملاحظة هذه المراحل والتنبُّه والتَّحليل لكلِّ واحدةٍ منها مع الرجوع في ذلك إلى نصوص الوحيِ وأحاديث النُبوة يُساهم في استلهام خطةِ عملٍ فيها سلامة المسار وسلامةِ القرار لكل منتسبٍ صادقٍ يحملُ همَّ هذا الدين في إشاعته للعالمين.. ﴿وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ﴾ [القمر: ٣].

* * *

فهرس المصادر والمراجع

ـ الأربعون العزيزية فيما أخبر به النبي صلوات الله عليه من أحوال الوقت، للإمام الحافظ أبي اليسر عبد العزيز بن الصديق الغماري.
ـ الأسس والمنطلقات في تحليل غوامض فقه التحولات، الحبيب أبو بكر العدني ابن علي المشهور.
ـ الاقتصاد في الاعتقاد، الإمام أبو حامد الغزالي.
ـ البداية والنهاية، الإمام ابن كثير.
ـ البرهان في علوم القرآن، الإمام الزركشي.
ـ البيان الدعوي وظاهرة التضخم السياسي، د. فريد الأنصاري.
ـ بيان المعاني، عبد القادر بن ملّا العاني.
ـ تاج العروس، مرتضى الزبيدي.
ـ تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، الإمام المباركفوري.
ـ التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة، الإمام القرطبي.
ـ تفسير ابن كثير.
ـ تفسير البغوي.
ـ تفسير الرازي.

ـ تفسير الطبري.
ـ التليد والطارف شرح منظومة فقه التحولات وسنة المواقف، الحبيب أبو بكر العدني ابن علي المشهور.
ـ جامع بيان العلم وفضله، الإمام القرطبي.
ـ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، للإمام أبي نعيم الأصبهاني.
ـ الدلائل النبوية المعبرة عن شرف المدرسة الأبوية، الحبيب أبو بكر العدني ابن علي المشهور.
ـ ديوان الإمام العلاوي المستغانمي.
ـ الزهد والرقائق، لابن المبارك.
ـ سنن ابن ماجه.
ـ سنن أبي داود.
ـ سنن الترمذي.
ـ السنن الكبرى، الإمام البيهقي.
ـ السنن الكبرى، النسائي.
ـ السنن الواردة في الفتن، الإمام أبو عمرو الداني.
ـ شرح مشكل الآثار، للطحاوي.
ـ صحيح ابن حبان.
ـ صحيح البخاري.
ـ صحيح مسلم.
ـ صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال، القاضي حسين المهدي.

ـ علوم السيرة من الرسول إلى الرسالة، للدكتور حسن حنفي.
ـ غياث الأمم في التياث الظلم، للإمام الجويني.
ـ فتح الباري شرح صحيح البخاري، الإمام ابن حجر العسقلاني.
ـ الفتن، الإمام نعيم بن حمّاد.
ـ فقه أشراط الساعة، لمحمد إسماعيل المقدم.
ـ كنز العمال، الإمام المتقي الهندي.
ـ الكنى والأسماء، للدولابي.
ـ المرصد النبوي تقارير واستقراءات ودراسات من واقع القراءة النصيّة لفقه التحولات، الحبيب أبو بكر العدني ابن علي المشهور.
ـ المستدرك على الصحيحين، الحاكم النيسابوري.
ـ المسلمون في مجتمعات الذلة بين سياسة الدجل وعبادة العجل، الحبيب أبو بكر العدني ابن علي المشهور.
ـ مسند الإمام أحمد بن حنبل.
ـ مسند البزار = البحر الزخار، الإمام البزار.
ـ مسند الشهاب القضاعي.
ـ مصنف ابن أبي شيبة.
ـ المعجم الأوسط، الإمام الطبراني.
ـ المعجم الكبير، الإمام الطبراني.
ـ المهيع الواضح المأمون في شرح منظومة الفكر الأبوي المأمون في طريق السلامة النبوي المضمون، الحبيب أبو بكر العدني ابن علي المشهور.

ـ النهاية في غريب الحديث، لابن الأثير.
ـ الهجوم على الإسلام والمسلمين، د. ماجد عرسان الكيلاني.

❊ ❊ ❊

فهرس المحتويات

الموضوع **الصفحة**

التعضيد ٥
المقدمة ٧
من أين نبدأ قراءة فقه التحولات؟ ١٥
تعقيب سيدي الحبيب أبو بكر المشهور على المقال ٢١
المبادئ العشرة لعلم الساعة ٢٩
ضوابط التعامل مع علم الساعة ٣٥
وظائف فقه التحولات ٣٩
المدرسة الأبوية والمدرسة الأنوية ٥٧
هلك المتنطِّعون! ٦٥
من الصوملة إلى الصيلمة ٧٣
بين التحديث (update) والإحداثيات (gps) ٧٩
الغُربة.. غربة الإسلام في الواقع المعاصر ٨٣
استعمار المستقبل ٩٣

الموضوع	الصفحة

القول الميسور في مناصحة ولاة الأمور ١٠١
المشروع الآمن في الانتقال من مرحلة الاستنفار إلى مرحلة الاستقرار ١١٥
الوعد المنصوص والبنيان المرصوص..... ١٢٥
فهرس المصادر والمراجع ١٣٧
فهرس المحتويات..... ١٤١

* * *

هذا الكتاب

تـأتي هـذه المقالات والأبحاث لتتكلم عن الربط بين الديانة والتاريخ في مراحل الأمة الموصوفة في السنن، وكذلـك عـن مواقـع الأقاليـم والبلـدان في فقـه التحولات، ومسائل متعددة متنوعة في معجم أماكن فقه التحولات و تحليل بعض المراحل والسياقات.

وهـذه المقـالات تعـد تأريخـاً لسـنوات مـن التلقـي والتكوين والتذاكر والملاحظة والمتابعة وجاء وقت ظهورها جواباً لسؤال دفين في الخاطر أو معنى ملح في سياق متصل عبر سفر أو حضر أو سياق عابر.

ومع تجدد السـؤالات من الأحباب الراغبين بدراسـة هـذا العلم والوقوف عـلى معالمه و مداخله وجدت مـن المناسـب أن تصـدر هذه المقـالات فتكون مادة ناجـزة لمتابعـة التأصيـل والتفصيـل والتوصيل لعلم فقه التحولات.

والله الموفق والهادي لكل خير

المؤلف

دار المُعين للنشر والتوزيع
Dar AL Mueein Publishing and Distribution

daralmueein info@daralmueein.com